الفِتَنُ
وَ طُرُقُ عِلَاجِهَا فِي الإِسلَامِ

إعداد

د. أَشرف شعبان محمَّد

أستاذ مساعد بقسم الثَّقَافَة الإِسلاميّة كُليَّة الدَّعوة الإِسلاميَّة بالقَاهرَة، جامعة الأزهر الشريف

١٤٣٨هـ /٢٠١٧م

الملخص:

موضوع الفتن من الموضوعات المهمة، التي يجب على المسلم أن يقف على ملابساتها، ويستبين علاماتها، وأزمانها، وأماكنها، وأسبابها، وآثارها والحكمة منها؛ ليكون على بصيرة بما تموج به أحداث الحياة، أو ترمي به حوادثها، ويستأنس عند وقوعها بما لديه من علوم نافعة وآثار مباركة، يقدمها له دينه الحنيف، فينجو عندما يهلك الناس، ويهتدي عندما يضل غيره ويتخبط، ويستقيم عندما ينحرف المفتون ويزيغ.

وتزداد أهمية هذا الموضوع خاصة بعد الاضطرابات الشديدة التي نعيش فيها منذ سنة ٢٠١١م، والتي أدَّت إلى انهيار أنظمة وسقوط أقنعة، وتصارع قوى مختلفة على الحكم، صَاحَبَ ذلك قتلٌ، وإبادةٌ، وتشريدٌ، وضياعٌ، وفوضى، واختلالٌ للأمن، ونهبٌ للثروات، ونجاحٌ لمؤامرات طالما حركت خيوطها أيدي الأعداء.

وهذا البحث جاء بعنوان ((الفتن و طرق علاجها في الإسلام))؛ **لبيان أسباب الفتن، وأنواعها، وآثارها على الفرد والمجتمع**، وإدراك الطرق المثلى في التعامل معها أثناء وقوعها؛ لتجنب أضرارها، أو الحد من آثارها، ووصولاً بالفرد إلى الثبات على الحق، والبعد عن مكابدة الشتات، وبالمُجتَمَع إلى التماسك والصمود أمام رياح الفتن العاتية، والتصدي لمعاول الهدم فيها.

وقد أوصى البحث بما يلي:

١ـ إعداد مادة تعليمية مبسطة عن الفتن وكيفية مواجهتها، تدرس في مراحل التعليم المختلفة.

٢ـ تخصيص برامج إعلامية مختصة تتناول موضوع الفتن على أسس علمية منضبطة بالضوابط الشرعية.

٣ـ تدريب الأئمة والخطباء على كيفية تناول مثل هذه الموضوعات من خلال دورات تدريبية متقدمة.

٤ـ إقامة وحدات متخصصة لرصد القضايا التي تعتبر فتنة أو تؤدي إليها؛ لمتابعتها، ورصدها، ووضع العلاج الأمثل لها منذ بدايتها.

الكلمات الدلالية:

الفتن- الفتنة – المجتمع - التدابير - الوقاية

بسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رَبِّ العالَمِين، والصَّلاة وَالسَّلام على أَشرف الأَنبياء والمرسلِين، سيِّدنَا محمَّد، وعلى آله وَأَصحابه الطيِّبِين الطَّاهرين.

أمَّا بَعدُ:

فقد اهتم القرآن الكريم بموضوع الفتن، وذكره في ثنايا آياته الشريفة، كما تناولته السنة النبوية المطهرة تناولاً ملحوظاً، مما يلفت نظر المسلم إليه، ويوقظ مشاعر الانتباه فيه، ويُبرز خطورته، ويُنير طريق النجاة لسالكيه. فالمرء مفتون بالخير والشر، وما فيهما من سرَّاء وضرَّاء، وغنى وفقر، وعافية ومرض، وما يكسب الناس أو يكتسبون، قال تعالى:﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُون ﴾[الأنبياء: ٣٥]، وكذلك فالإنسان معرض للفتنة بغيره، حائر في دروبها، ما لم تكن لديه ديانة وفطنة تقيه من غوائلها، قال سبحانه وتعالى:﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾[الفرقان: ٢٠].

وعلى ذلك: فموضوع الفتن من الموضوعات المهمة، التي يجب على المسلم أن يقف على ملابساتها، ويستبين علاماتها، وأزمانها، وأماكنها، وأسبابها، وآثارها والحكمة منها؛ ليكون على بصيرة بما تموج به أحداث الحياة، أو ترمي به حوادثها، ويستأنس عند وقوعها بما لديه من علوم نافعة وآثار مباركة، يقدمها له دينه الحنيف، فينجو عندما يهلك الناس، ويهتدي عندما يضل غيره ويتخبط، ويستقيم عندما ينحرف المفتون ويزيغ.

وعند ذلك يظهر أن المسلم المستفيد من دينه المتمسك به، يختلف عن غيره وقت حدوث الفتن، ووقوع الكوارث والمحن، لما يجده في دينه من اهتمام بالغ وحرص شديد على سعادته في الدنيا، ونجاته في الآخرة. وهو ما يوضح نفع الإسلام لأتباعه ومعتنقيه، ومدى ما يقدمه لهم من استقرار وهدوء، واطمئنان، وهداية، قال تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُون ﴾[الأنعام: ٨٢]، كما يُظهِر أيضاً طرفاً من عظمة الإسلام وجانباً من جوانب إعجازه المبهر.

والناظر إلى الفتن يرى أنه رغم شدتها وآثارها الضاغطة على النفس، وإجهادها للعقل في محاولة للخروج منها، فإن لها آثاراً إيجابية، يمكن أن تُلحَظ، مثل: تمحيص الناس وتنقيتهم مما قد يشوب أخلاقياتهم، أو يفسدها، وفي نفس الوقت فإن الشدائد تساعد . عند وقوعها . على استبانة المخلص من مدعي الإخلاص، وتميز بين الصادقين وغيرهم فيما يزعمون، قال تعالى:﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[العنكبوت: ١. ٣].

وعلى المرء أن يتعايش مع الحياة كما هي، وأن يوطن نفسه على طبيعتها التي خلقها الله عليها، ومن طبيعتها أنها لا تخلو من تجارة تكسد، أو عمل يفسد، أو أمل يخيب، أو همٍّ يجعل ناصية الطفل تشيب، وما شاكل ذلك من المتاعب والمهالك والشدائد والفتن.

كما ينبغي أن لا ينظر المرء إلى كل فتنة على أنها غضب من الله . تعالى . وانتقام، بل قد تكون رضا منه سبحانه وإنعام، روى سيدنا أنس . رضي الله عنه . قول النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم:

((إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاَءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ))(١). وبهذه السنة تمضي الأيام بالناس بين شدة ورخاء، وأخذ وعطاء، وقضايا واضحات، وأمور متشابهات، تصقلهم صقلاً، وتزيد المؤمن إيماناً وعقلاً.

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلاَءِ، رقم: ٢٥٧٦، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، انظر: سنن الترمذي ٤/ ٦٠١، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بدون بيانات أخرى.

وهو ما تحقق للصحابة الكرام . رضي الله عنهم . على أيام رسول الله . صلى الله عليه وسلم . التي تباركت بوجوده، وتعطرت بأنفاسه وَجُودِه، وكذلك تحقق لهم بعد رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فيما شجر بينهم عند تتبع آثاره والتزام منهجه الذي يبدد الظلمات بأنواره. فكانت قرونهم بذلك خير القرون، وأقبلت الفتن وذهبت على أيامهم، وليس منهم هالك فيها أو مفتون، روى سيدنا عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . قول النبي الكريم . عليه الصلاة والسلام . ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))(١).

وها قد ترك فينا . صلى الله عليه وسلم . الأصلين العظيمين . القرآن الكريم، والسنة النبوية . وقاية وهداية، ثم جاءت أفعال الصحابة، وأحوال التابعين؛ تجسيداً لهذه الوقاية وشرحاً لهذه الهداية وانفعالاً بها وامتثالاً لها؛ ليكون كل ذلك تثبيتاً للأقدام عند وقوع الفتن، وتقدماً في طريق النجاة مع مرور الزمن.

وما يقال في حق الأفراد، فهو في حق الأمم آكد، فما الأمم إلا مجموعة من الأفراد، وما السنن التي تحكم آحاد الناس إلا معيار صدق في مجموعهم.

ولقد كَانَت الأُمَّة الإِسلَامية بمجموعها في عصورهَا الذَّهبيَّة المَاضية قوية فتية، لا تُشتِتُها فتنة وإن أربكتها قليلاً، لكنها في العصور المتأخرة زادت عثراتها، وتكالبت عليها الأعداء، وتسللت إليها الفتن. فكانت بحاجة إلى إدراك واع، وفهم دقيق لما هي فيه، وحل ناجع تدرك حدوده ومراميه، وهو ما حاول علماء الأمة فعله منذ إحساسهم بالخطر، فكانت كتاباتهم في مثل هذا الموضوع، تشمل الفرد والمجموع؛ رسماً لطريق الهدى، وتعييناً له وتفصيلاً لمخارج النجاة فيه، كلٌ حسب تصوره وما وقع في زمنه وعصره. وَقَد كتبت في هذا الموضوع بهذا العنوان الذي بدا لي: **((الفتن و طرق علاجها في الإسلام))**

غير متعرض للفتن المتعلقة بقيام الساعة وعلاماتها، كالدجال وخروج الدابة ويأجوج وأجوج.

إذ إنها محتومة لا محالة، ولا سبيل لدفعها ولا لرفعها، وهو من أبواب العقيدة وقضاياها التي تناقش في مظانها والتي تحتاج إلى نوع خاص بها من الدراسة.

وهذا الموضوع تَتَّضح معالمُه مُلخَّصةً في خمس نِقَاطٍ هِيَ: سبب الكتابة فيه، أَهَمِيَّة الموضوع، المشكلة الَّتِي سيناقشها الموضوع، التساؤلات التي تعين الإجابة عنها على بلورة فكرة البحث ووضوح مقاصده، الأَهداف الَّتِي ينشد البحث الوصول إليها، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

أ – سبب الكتابة في الموضوع:

لقد تعرضت معظم بلاد المنطقة التي نعيش فيها منذ سنة ٢٠١١م، إلى اضطرابات شديدة أدَّت إلى انهيار أنظمة وسقوط أقنعة، وتصارع قوى مختلفة على الحكم، صَاحَبَ ذلك قتلٌ، وإبادةٌ، وتشريدٌ، وضياعٌ، وفوضى، واختلالٌ للأمن، ونهبٌ للثروات، ونجاحٌ لمؤامرات طالما حركت خيوطها أيدي الأعداء. كل ذلك تجسيد لمعنى الفتن وشرح لمعناها، واستظهار لها، وهو ما دفعني للكتابة في هذا الموضوع ودراسته.

ب . أَهَمِيَّةُ المَوضُوعِ:

إنَّ الفتن التي لا يتوخى معها الحذر ولا يتعامل معها بحكمة، تُعَدُّ مِن المُعضِلَاتِ الكُبرَى الَّتِي تؤثر بالسلب على اتزان الأفراد وسلامة تصرفاتهم، كما تَتزلق بِالمُجتَمَعَاتِ في منحدرات التَّخَبُّط والضَّيَاع، وتجلب عليهم أسباب الهلاك والانهِيَار، وتصبح أدوات طمس لمعالم الحضارة وتشويه لجمال المدنية فيها.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة . رضي الله عنهم . باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم: ٤٢٣٢، انظر: صحيح مسلم ٤/ ١٩٦٢، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون بيانات أخرى.

لذا فمن الضروري الوقوف على المعلومات الكاملة لرصد الفتن قبل وجودها، وإدراك الطرق المثلى في التعامل معها أثناء وقوعها؛ لتجنب أضرارها، أو الحد من آثارها.

ويمكن الوقوف عَلَى مُلَخَّص لأَهمِيَّة هذا المَوضُوع، مِن خِلال هذه الأَسباب:

١. قِلَّةُ الدِّرَاسَاتِ الأكاديمية المعاصرة التي تناولت هذا المَوضُوعَ بهذه الصورة، رَغم تَأثيره في حياة النَّاس.

سَواءٌ أَكَانُوا قادةً فاعلين كالحكام والأمراء، أو الدعاة والعلماء، أَو كانوا جمهوراً، يبحثون عن منافذ الخروج وطرق النجاة، وهم عامة الناس وبَقِيَّةُ المُجتَمَع، علَى اختلاف أَعمارِهم وتَبَايُنِ مَدَارِكِهم، واستعدادهم.

٢. توضِيحُ التَّلَازُم بين المؤامرات والجَرَائم التي تقع في حياة الناس، وبين الفتن وما تحمله من شرور وآثام.

٣. الوقوف على بعض المنن، وكثير من الحكم المستنبطة من جراء وقوع الفتن على الناس ونزولها بساحتهم.

٤. تسليط الضوء على منهج الدين الحكيم من خلال توجيهات العلماء وتوصياتهم قبل حدوث الفتن وحال وقوعها، والاحتياطات اللازمة لمُحَاصرة مخَاطِرها؛ وصولاً بالفرد إلى الثبات على الحق، والبعد عن مكابدة الشتات، وبالمُجتَمَع إلى التماسك والصمود أمام رياح الفتن العاتية، والتصدي لمعاول الهدم فيها.

ج – المُشكِلَةُ:

تمثلت مشكلة البحث في الغفلة عند الكثير عن المقصود بالفتن، وتجاهل أسبابها، ومظاهرها وما تقذفه من أخطار وتخلفه من آثار، تصيب الأفراد، كتشويش الفكر، وضبابية الرؤية، والوقوع في الحرام والاستزادة منه. وكذلك ما تمثله من معوقات في مسيرة التنمية والرخاء للأمم والمجتمعات، وما يترتب على ذلك من قيود وأغلال تعرقل حركتها نحو التقدم والرقي لتصبح معها لقمة سائغة للضعف، والتخلف، والتفكك، والاقتتال، والدمار، والتبعية، وساحة مفتوحة للمؤامرات التي تنفذها الجماعات المسلحة الموجهة من قوى مختلفة، كما تفتح الطريق واسعاً للتدخل الأجنبي في شؤونها. كما يبدو جانب كبير من المشكلة في التغافل عن الحكم الإلهية والمنن الربانية التي تتجلى من نزول الفتن بعد زوالها لأخذ العظة والعبرة والاستفادة مما وقع.

د – التساؤلات المعينة في الإلمام بالموضوع:

١. ما المقصود بالفتن، وما هي المعايير التي تجعل الشدائد فتناً؟

٢. ما أهم صفات الفتن التي تعرف بها؟ وما الأسباب التي تؤدي إليها؟ وما أنواعها التي تَحُلُّ بالناس؟ وما الآثار التي تنتج عنها؟

٣. ما التدابير الإسلامية الموجهة إلى الفرد والمجتمع؛ للوقاية من الفتن قبل وقوعها؟ وما الطريقة المثلى في كيفية التعامل معها أثناء وقوعها؟

٤. ما الحكمة من نزول هذه الفتن بالإنسان، وما أهم المنن المصاحبة للفتن والشدائد؟

هـ – الأَهدَافُ:

ينشُدّ البَحث مِن خِلال مَباحثه المُتعدِّدة، الوصول إِلَى الأَهدَاف الآتِية:

١. التَّعرِيف بِالفِتن، والوقوف على الفَرق بَينها وبين المصطلحات ذات المعنى القريب منها.

٢. الوقوف على أَسبَاب الفتن ومناقشة التَدَاعِيات المتوقعة في حال وجودها، والإشَارة إلى خُطورة استمرارها، والتَّحذِير من مُنعطَفاتها الخَطِيرة، للتخلص من آثَارها السَلبيَّة، وما يتبعها من تخريب وفساد.

٣ . الإشارة إلى معالم طَرِيق النجاة من الفتن ومخارج الإفلات منها، وذلك مِن خِلَال تَصوُّرات العُلَماء.

٤. محاولة الوصول بالإنسان إلى مقام الرضا والراحة النفسية، وذلك بالوقوف على بعض الحكم المستفادة من نزول الفتن والابتلاءات بالناس، وتلمس لطائف الله . تعالى . ومننه من الفتن النازلة بالإنسان، مع محاولة النهوض من هذه الشدائد، ونفض آثار الضيق والتمزق النفسي الذي قد يصيب الإنسان عند الملمات.

و . الدِّرَاساتُ السَّابِقَةُ:

لم أقف على نتاج علمي أكاديمي . رسائل ماجستير، أو دكتوراه . في محيط عملي، وعلى قدر جهدي وعلمي، يتناول موضوع الفتن بهذه الصورة المعروضة، بعد طول بحث وتنقيب، ولكن هناك مَن تناول فكرة الموضوع من زاويا مختلفة، وقد رتبت ما وقعت عليه حسب الأقدمية التاريخية على ما يلي:.

١. أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري، جميل عبد الله المصري، رسالة دكتوراه، بجامعة الأزهر الشريف، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ، نوقشت ١٩٧٨م.

٢. فتنة المؤمن كما يصورها القرآن الكريم، أبو بكر على الصديق، رسالة ماجستير بجامعة الأزهر الشريف، كلية أصول الدين نوقشت ١٩٨٣م.

٣. تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من مرويات الإمام الطبري والمحدثين، محمد أمحزون، رسالة جامعية، نال صاحبها درجة الدكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالمغرب، ١٩٨٩م.

٤. فتنة المال والنساء في القرآن الكريم، جهاد خلف على، رسالة ماجستير بجامعة الأزهر الشريف، كلية أصول الدين نوقشت ٢٠٠٠م.

٥. منهج الإسلام في الحفاظ على المجتمع من الفتن، إبراهيم عبد القادر صالح الدسوقي، رسالة ماجستير، بجامعة الأزهر الشريف، كلية أصول الدين بالزقازيق، نوقشت ٢٠٠٦م. وهي رسالة تكاد تتفق في عنوانها مع تذييل عنوان البحث، إلا أن محتوى الرسالة يُبين الفرق الواضح، بينها وبين البحث، فقد قُسِّمت الرسالة إلى ثلاثة فصول، تحدثت في الفصل الأول عن فتنة النساء ومظاهرها وأسبابها، كالتبرج، والخضوع بالقول، والمصافحة، وسماع الأغاني، ومشاهدة الأفلام، وغيرها وكذا فتنة المال، والأولاد، وفتنة الدنيا، أما الفصل الثاني، فكان عن: الإعلام وخطره، ودوره في نشر الفتن أو دحرها، وأما الفصل الثالث، فكان عن منهج الإسلام في علاج هذه الفتن المذكورة، وهو ما يظهر فروقاً واضحة في التناول والعرض، على الأخص عند مراعاة سنة الكتابة، واختلاف الأحداث، وأسباب الكتابة.

٦. الفتن والثورات في مصر عصر الولاة (٢١. ٢٥٤هـ /٦٤١ . ٨٦٨ م)، سهام مصطفى أبو زيد، رسالة دكتوراه، بجامعة الأزهر الشريف، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ، نوقشت ٢٠٠٧م.

٧. الفتنة في عهد الخلفاء الراشدين وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى، إسماعيل عبد الفتاح مصطفى، رسالة دكتوراه، بجامعة الأزهر الشريف، كلية أصول الدين الزقازيق، نوقشت ٢٠١٢م.

إضافة إلى كتب السلف ومؤلفاتهم، وهو ما سوف يتضح إن شاء الله تعالى عند الاقتباس والإحالة.

ز . عملي في هذه الدراسة:

الجديد في هذه الدراسة، هو محاولة الإلمام بالقضية، واستدراك ما تركه الباحثون، من أنواع الفتن، أو فاتهم من أسبابها، أو تفرق في كتبهم، من مظاهرها، وآثارها، أو استكمال ما لم يعاصروه، وجَدَّ بعد بحوثهم، مع بيان أهم الجوانب الإيجابية والحكم الإلهية المستدركة من نزول الفتن. وليس ذلك انتقاصاً من مجهوداتهم، فقد كان اهتمام الواحد منهم بالزاوية التي يتناول الموضوع من خلالها، وتركيزه على عنوان البحث الذي لفت نظره، وكرَّس جهده لاستيفاء فكرته والوصول لهدفه، والوقوف عند

آخر الأحداث التي عاشها قبل رمي الأيام بما تحمله من جديد. وقد استفدت من هذه الدراسات بما يؤصل لموضوع البحث ويخدم أفكاره ويثري قضاياه.

وقد رأيت التركيز على المسائل الآنية والأحداث الجارية على الساحة العربية، أو الإسلامية، وبيان أوجه الشبه بينها وبين الفتن السابقة، وكيفية الاستفادة من العلاج المقترح آنذاك، ثم إسقاطه على الواقع المعاصر.

م ـ مَنهجُ البَحثِ وَخُطُوَاتُ الدِّرَاسَةِ:

استخدمت في هذا البحث عدة مناهج، تنقلت مطالبه بينها؛ لاقتضاء طبيعة العمل ذلك، وهي:

١. المَنهَج الوَصفِي لبيان المشكلة وأبعادها، وتقديم الصورة الإجمالية الكاملة عن الموضوع.

٢. المنهج الاستقرائي للأحداث التاريخية التي أسفرت عن فتن وشدائد مرَّت بالأمة الإسلامية.

٣. المنهج التَّحليلي لِوَاقع الفتن، وأسبابها المؤثرة على قناعات الفرد والمجتمع، والمظاهر التي تدل عليها توجهاتهم واللطائف المستلهمة مما بعد الفتن.

٤. كما لم أغفل المنهج الاستنباطي في انتخاب الأجواء الوقائية؛ لتجنب آثار الفتن المضلة، واختيار العلاج المفيد في ضوء الإسلام عند حدوث الفتن، والذي يتمثل في التَّوجِيه الدِّينِيّ ذِي الأَثَرِ الإيجابي الفَعَّال على سُلُوكِيَّات النَّاس وَتَصرُّفَاتهم، وجهود العُلَمَاء فِي توظيف الأصول الثابتة للخروج من ظلمات الفتن ومتاهاتها.

وَقَد تَمَثَّلَت خُطُوَاتُ الدِّرَاسَةِ فِيمَا يَلِي:

١. جمع الآيَات القُرآنِيَّة الكَرِيمَة، والأَحَاديث النَّبَويَّة الشَّريفة المتصلة بالمَوضُوع، ثم عَزو الآيات الكَرِيمة إِلى سُوَرِها من القُرآن العظيم، والأَحَادِيث الشَّرِيفَة إِلَى كُتُبِها من السُّنَّة المطهرة، مع ذكر درجة الحَدِيث من الصِّحَّة، أَو الحُسن، أَو الضَّعف، مَا لَم يَكُن في الصَّحِيحَين . البُخَارِيّ وَمُسلم . فَإِن كَان فِيهما أَو في أحدهما، فَقد اكتَفَيتُ بذكر كتاب الحديث وبابه، عملاً بِمَا قَرَّرَهُ العُلَمَاءُ في ذَلك.

٢. البحث في أمَّهات الكُتُب الشَّرعيَّة، والاستئناس بالأبحاث العلمية، التي تناولت أحد جوانب الموضوع.

٣. النظر في الكُتُب الحديثة الَّتِي ناقشت القضية؛ لاستيعابها ووُضُوح الرُؤية عند الكتابَة فيها.

٤. استخدام شَبَكة الانتَرنت في الوُقُوف على الجَديد المُتَعَلِّق بالموضُوعِ، مِن الأَبحَاث ذَات الصِّلَة، والمَقَالَات العِلمِيَّة، وقد وثَّقت عند نقلي منها ما يمنع الخلط، ويُقبَل في الاقتباس والنقل، وييسر عند إرادة الوقوف عليه.

٥. الاستئناس بالدَّورِيَّات والحَولِيَّات التي كتبت في أبحاث لها صلة بالمَوضُوع.

٦. ذكر الأئمة الأعلام الكرام . من القدامى والمحدثين . بدون ألقاب تزكية، وليس هذا نزولاً بهم من مكانتهم، أو من سوء الأدب معهم، ولكن لأن أسماءهم . في نظري . توقع في الصدر ما لا توقعه الألقاب من الجلال، والهيبة، والتوقير، على الأخص إذا كان كثير من الناقلين عنهم درجوا على ذلك؛ تخفيفاً واختصاراً.

أسبل الله على الجميع ستر عفوه ومغفرته ورضوانه، وأنعم عليهم برفيع درجاته وعظيم إحسانه.

٧. ترجمة الأعلام التي يندر ذكرها، ويقل استعمالها . على الأقل في نظري . دون الأعلام المشهورة، كالصحابة المشهورين، وأئمة الحديث، والتفسير، والفقه.

٨. ذكر المرجع ببياناته كاملة عند أول ورود له في الهامش، وفي مصادر البحث ومراجعه، وعند تكرار الأخذ منه، أكتفي بذكره، ومؤلفه، والجزء، والصفحة، دون بقية البيانات، ودون الإشارة كذلك إلى أنه مرجع سابق.

وبعد هذا كُلِّه، تَرتَّبَ البَحثُ في: مُقَدِّمَة، وَثَلَاثَة فُصُول، وخَاتمة.

المُقَدِّمَةُ وفِيها: التَعرِيفُ بِالمَوضُوعِ، وسبب الكتابة فيه، وَأَهمِّيَّته، ومشكلة البحث، والتساؤلات المعينة في الإلمام به، وأهدافه، والدراسات السابقة عليه، وعملي في البحث، ومنهج الكتابة، وخطواتها المتبعة، ثم خطة البحث المحددة لمعالمه.

الفَصلُ الأَوَّلُ: مَفهُوم الفِتن، وطبيعتها وصفات أهلها. وأماكن خروجها. وَيشتمل على ثلاثةِ مَبَاحِثَ: المَبحَثُ الأَوَّلُ: مَفهُومُ الفتنة، والفرق بينها وبين المصطلحات المشابهة.

المَبحَثُ الثَّانِي: طبيعة الفتن وصفات أهلها.

المَبحَثُ الثَّالِثُ: جذور الفتن وتاريخها، وأماكن خروجها.

الفَصلُ الثَّانِي: تَوصِيف الفتن بين الماضي والحاضر. وَيشتمل على ثلاثةِ مَبَاحِثَ:

المَبحَثُ الأَوَّلُ: أسباب الفتن، وملابسات ظهورها.

المَبحَثُ الثَّانِي: أَنواع الفتن، وألوانها.

المَبحَثُ الثَّالثُ: آثار الفتن، ونتائجها.

الفَصلُ الثَّالِثُ: علاج الفتن والوقاية من آثارها السلبية في ضوء الإسلام. وَيشتمل على ثلاثةِ مَبَاحِثَ:

المبحثُ الأَوَّل: التدابير اللازمة للوقاية من الفتن قبل وقوعها.

المبحثُ الثَّانِي: كيفية التعامل مع الفتن أثناء وقوعها.

المبحث الثالث: الوقوف على الحكم من وقوع الفتن بين الناس.

الخَاتِمةُ: وفِيهَا نَتَائِج البحث، وتَوصِيَاته المقترحة.

ثُمَّ مصادر البَحث ومراجعه، ثُمَّ فهرس بالأَعلام الواردة في البحث، حسب التَّرتيب الأَبجدي، والمصطلحات العلمية، ثُمَّ فهرس البحث العام.

هَذَا ، وَأَرجُو مِن اللهِ تعالى العون والتوفيق، في الأقوال والأعمال، وأَن يجعل هذه الكتابة سبباً من أسباب القبول وبلوغ الآمال، وأن تكون لي ولغيري في الدنيا مفيدة ونافعة، ويوم القيَامَة ذخراً وشافعة.

وصلى الله على النبي الأكرم والرسول الأعظم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أَشرف شعبان محمَّد

أستاذ مساعد بقسم الثَّقَافَة الإسلاميَّة

كُليَّة الدَّعوة الإسلاميَّة بالقَاهرَة جامعة الأزهر الشريف

المَبحَثُ الأَوَّلُ:

مَفهُومُ الفتنة، والفرق بينها و بين المصطلحات المشابهة

المقصود بالفتن: أولاً المعنى اللغوي:

جاءت كلمة الفتنة في اللغة على معان كثيرة منها:((الابتلاء والامْتِحان والاختبار، قال سبحانه:﴿ أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾[التوبة: ١٢٦]، والفِتْنة: المال، والأَوْلاد، والنساء، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[

التغابن: ١٥]، وقوله عليه الصلاة والسلام: " مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ "(١)، والفِتْنةُ: اختلافُ الناس بالآراء، والفتنة: إعجاب الكفار بكفرهم، قال عز وجل:﴿ ربَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنةً للقوم الظالمين﴾[يونس: ٨٥] يقول: لا تُظْهِرْهُم علينا فيُعْجبُوا ويظنوا أَنهم خير منا. وفَتَنَ الرجلُ بالمرأَة وافْتَتَنَ، إذا وَلَّهَتْه وأَحبها. وأَراد الفجور، والمفتون: المجنون قال تعالى:﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ* بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾[القلم: ٥، ٦]، والفاتِنُ: المُضِلُّ عن الحق، والفاتِنُ: الشيطان، وفي الحديث:" المُسْلم أَخو المُسْلم يَسَعُهُما الماءُ والشجرُ ويتعاونان على الفَتَّانِ "(٢)، والفتنة: الإثم، قال عز وجل:﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ﴾[التوبة: ٤٩]، أَي: لا تُؤْثِمْني بأَمرك إِيايَ بالخروج وذلك غير مُتَيَسِّرٍ لي فآثَم، وفتَنَ الرجلَ أَي: أَزاله عما كان عليه وأَماله، ومنه قوله عز وجل:﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾[الإسراء: ٧٣]، والفتنة: الكفر، قال تعالى:﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾[البقرة: ١٩١]. والفِتْنةُ: الفَضِيحة، قال عز وجل:﴿ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ ﴾[المائدة:٤١]، والفِتْنةُ: القتال، والقتل، ومنه قوله تعالى:﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[النساء: ١٠١]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " إِني أَرى الفِتَنَ تَقَعُ خِلالَ بُيوتِكم "(٣))(٤). هذه هي المعاني اللغوية التي تقلبت فيها كلمة الفتنة، ودارت عليها.

ثانياً المعنى الاصطلاحي للفتنة ويقصد به: ((الامتحان بشدائد التكليف من: مفارقة الأوطان، ومجاهدة الأعداء، وسائر الطاعات الشاقَّة، وهجر الشهوات والملاذِّ بالفقر والقحط، وأنواع المصائب في الأنفس والأموال، وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم))(٥).

وقريب من هذا، تعريف الفتنة بأنها: ((ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر))(٦).

والأفعال كلها، خيراً كانت في نظر الإنسان أو شراً، من خلق الله تعالى وتقديره، وتنسب أفعال الخير إلى الله تعالى على سبيل الحقيقة، والشر إلى النفس البشرية على سبيل المجاز، من باب اختياره لها، والتسبب فيها؛ تأدباً مع الله جل وعلا؛ إذ المعلوم أن كل شيء بقضاء الله وقدره.

وعلى ذلك ((فالفتنة من الأفعال التي تكون من الله . تعالى . ومن العبد، كالبلية، والمصيبة، والقتل، والعذاب، وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضدِّ ذلك؛ ولهذا يَذُم الله الإنسان المتسبب في أنواع الفتن))(٧).

ويقصد بقوله في التعريف السابق: ((ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك))، يعني: إذا كانت الفتنة من الله ولا دخل للإنسان فيها، كالموت، والمرض، ونحو ذلك، فإنما تكون على سبيل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الحرة تحت العبد، رقم: ٤٨٠٨، انظر: صحيح البخاري: ١٩٥٩/٥، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج، باب في إقطاع الأرضين، وقال الألباني: ضعيف، انظر: سنن أبي داود ١٩٣/٢، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، تعليق، كمال يوسف الحوت، دار الفكر العربي، بدون بيانات أخرى.

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: ٣٤٠٢، انظر: صحيح البخاري١٣١٧/٣.

(٤) ابن منظور، لسان العرب ٣١٧/١٣، باختصار.

(٥) الزمخشري، الكشاف ٢ / ٤٣٩، دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٠٧هـ، بدون ذكر رقم الطبعة، وراجع: ابن حجر، فتح الباري ٣/١٣، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، بدون ذكر رقم الطبعة.

(٦) الجرجاني، التعريفات ١/ ٢١٢، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط أولى، ١٤٠٥هـ.

(٧)الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ١/ ٦٢٤، تحقيق: صفوان عدنان، دار العلم، بيروت، ١٤١٢هـ، بدون رقم الطبعة.

الحكمة التي تستوجب الصبر والرضا، وإن كانت من الإنسان بغير أمر الله فهي من باب البغي والعدوان، وهذا من باب العدوان المذموم صاحبه، الآثم فاعله.

وهنا سؤال، مفاده: هل يمكن أن تكون الفتنة بأمر الله تعالى؟ كما في التعريف السابق، في قوله: ((ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك)).

والإجابة هي: نعم يمكن أن تكون الفتنة بأمر الله تعالى، كقتل القصاص، ورجم الزاني المحصن، وجلد الزاني غير المحصن، وشارب الخمر وغير ذلك من الحدود، فهي من باب الفتنة للمحدود، بمعني: الشدة، والضيق، والمشقة، ومع ذلك لا يذم فاعلها، بل يحمد؛ لتنفيذه أمر الله تعالى، وتطبيق شريعته.

وكما أن الفتنة تستخدم غالباً فيما يكرهه الإنسان، فإنها تستخدم فيما يحبه أيضاً، إلا أن استخدامها الأكثر في البلاء والمضرة والمكروه، فقد ((جعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يُدفَعُ إليه الإنسان من شدةٍ ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنى، وأكثر استعمالاً، وقد قال الله تعالى فيهما:﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[الأنبياء: ٣٥].وقال سبحانه في الشدة: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾[البقرة: ١٠٢]))([1]).

هذه هي تعريفات العلماء للفتنة، وبيانهم في المراد منها، والمقصود بها.

وخلاصة ما أدركته أن الفتنة تطلق ويراد بها: الابتلاء والاختبار والامتحان، والعذاب، والشدة، والحرق بالنار، وكل مصيبة تنزل أو ما تؤول إليها، كالكفر، والإثم، والفضيحة، والفجور وغيرها من المكاره، وعظائم الأمور وما تؤول إليها من البؤس والشقاء والعقوبة والنار، فإن كانت من الله، فهي على وجه الحكمة، وإن كانت من الإنسان بغير أمره ـ سبحانه ـ فهي مذمومة، وقد تكون فيما يراه الإنسان خيراً على سبيل الاختبار.

الفرق بين الفتنة، والابتلاء، والاختبار:

تجتمع هذه الألفاظ في معاني التعب والضيق المشقة، إلا أن بينها فروقاً دقيقة، يمكن أن تتضح فيما يلي:

أولاً: الفرق بين الاختبار، والابتلاء.

((يقال: بَلِيَ الثوب بِلى وبَلَاءً، أي: خلق، ومنه قيل لمن سافر: أبلاه السفر، وبَلَوْتُهُ: اختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له، وسمّي الغم بلاءً من حيث إنه يبلي الجسم، قال تعالى: ﴿ وَفِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[البقرة: ٤٩]، ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ ﴾[البقرة: ١٥٥]، وقال عزّ وجل:﴿ إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ ﴾[الصافات: ١٠٦]، وسمي التكليف بلاء من أوجه:

أحدها: أن التكاليف كلها مشاق على الأبدان، فصارت من هذا الوجه بلاء.

الثاني: أنّها اختبارات، ولهذا قال الله عزّ وجل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ ﴾[محمد:٣١].

الثالث: أنّ اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسارّ؛ ليشكروا، وتارة بالمضارّ؛ ليصبروا، فصارت المحنة، والمنحة جميعاً بلاءً، فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر. والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاءين))([2]).

---

(١)الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ١/ ٦٢٣.

(٢) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ١/ ١٤٤.

يأتي الابتلاء بمعنى الاختبار، تقول: ((بلوت الرجل بلواً وبلاء اختبرته))(١). إلا أن الفرق الدقيق بينهما هو: ((أن الابتلاء عادة لا يكون إلا بتحميل المكاره والمشاق. والاختبار يكون بذلك، ويكون بفعل المحبوب، ألا ترى أنه يقال: اختبره بالإنعام عليه، ولا تقول: ابتلاه بذلك ولا هو مبتلى بالنعمة، كما قد يقال: إنه مختبر بها))(٢). فبذلك يشتركان في كون كل منهما امتحاناً يحتاج إلى القدرة والتحمل، ويفترقان في كون الاختبار يقع في نوعي التكليف . المحبوب والمكروه، وأما الابتلاء فيكون في ثانيهما فقط.

ثانياً: الفرق بين الفتنة، والابتلاء أو الاختبار.

((الفتنة: أشد الاختبار وأبلغه، وتكون في الخير والشر، قال تعالى:﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].وقال: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[الجن: ١٦، ١٧]،

فجعل النعمة فتنة؛ لأنه قصد بها المبالغة في اختبار المنعم عليه بها، والمراد بذلك شدة التكليف))(٣).

ويتأكد هذا المعنى من هاتين الآيتين الكريمتين: أما الأولى فهي قول الله . تعالى . في شأن سيدنا إبراهيم . عليه السلام:﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُن ﴾[البقرة: ١٢٤]، وقد ((اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِالْكَلِمَاتِ عَلَى أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا، شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ ثَلَاثُونَ سَهْمًا، عَشَرَةٌ مِنْهَا فِي سُورَةِ بَرَاءَةٍ، في قوله تعالى:﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ ... ﴾[التوبة: ١١٢] إِلَى آخِرِ الآية الكريمة، وَعَشَرَةٌ فِي سورة الْأَحْزَابِ: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾[الأحزاب: ٣٥] إِلَى آخِرِ الآية الكريمة، وَعَشَرَةٌ فِي سورة الْمُؤْمِنُونَ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ﴾[المؤمنون: ١. ٩]، وَقَوْلُهُ فِي سورة سَأَلَ سائِلٌ: ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾إِلَى قَوْلِهِ تعالى:﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ ﴾[المعارج: ٢٢ . ٣٤]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَا ابْتَلَى اللَّهُ أَحَدًا بِهِنَّ فَقَامَ بِهَا كُلِّهَا إِلَّا إِبْرَاهِيمُ . عَلَيْهِ السَّلَامُ . ابْتُلِيَ بِالْإِسْلَامِ فَأَتَمَّهُ فَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ الْبَرَاءَةَ فَقَالَ:﴿ وَإِبْراهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾[النجم: ٣٧]، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بِذَبْحِ ابْنِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بِأَدَاءِ الرِّسَالَةِ، وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ. وقيل: ابتلاه الله بالطهارة على وجه معين))(٤).

وأما الآية الثانية، فهي قوله سبحانه في شأن سيدنا موسى . عليه السلام: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾[طه:٤٠]، ((أَيِ: اخْتَبَرْنَاكَ اخْتِبَارًا حَتَّى صَلُحْتَ لِلرِّسَالَةِ، وَقِيل: بَلَوْنَاكَ بَلَاءً. وقيل: أَخْلَصْنَاكَ إِخْلَاصًا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: اخْتَبَرْنَاكَ بِأَشْيَاءَ قَبْلَ الرِّسَالَةِ، أَوَّلُهَا: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ فِي السَّنَةِ الَّتِي كَانَ فِرْعَوْنُ يَذْبَحُ فِيهَا الْأَطْفَالَ، ثُمَّ إِلْقَاؤُهُ فِي الْيَمِّ، ثُمَّ مَنْعُهُ مِنَ الرَّضَاعِ إِلَّا مِنْ ثَدْيِ أُمِّهِ، ثُمَّ جَرُّهُ بِلِحْيَةِ فِرْعَوْنَ، ثُمَّ تَنَاوُلُهُ الْجَمْرَةَ بَدَلَ الدُّرَّةِ، فَدَرَأَ ذَلِكَ عَنْهُ قَتْلَ فِرْعَوْنَ، ثُمَّ قَتْلُهُ الْقِبْطِيَّ وَخُرُوجُه خَائِفًا يَتَرَقَّبُ، ثُمَّ رِعَايَتُهُ الْغَنَمَ لِيَتَدَرَّبَ بِهَا عَلَى رِعَايَةِ الْخَلْقِ))(٥). ويمكن فصل التداخل بين معنى الفتنة، والابتلاء، أو الاختبار فيما يلي:

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ١٤/٨٣.

(٢) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص٢١٧، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون ذكر رقم الطبعة، ولا سنة الطبع.

(٣) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص٢١٧.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٩٦، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، باختصار يسير، دار الكتب المصرية، ط الثانية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٨.

أ. الاختبار أعم من الابتلاء؛ لأن الاختبار يكون في المحبوب، أو المكروه، أما الابتلاء ففي الغالب يكون في المكروه فقط، وأما قوله تعالى: { ونبلوكم بالشر والخير فتنة }[الأنبياء: ٣٥]، يقصد به في((الأشهر أنه الاختبار بالضر، وقد استعمل في هذه الآية في المعنيين))(١).

ب . أن لفظ الفتنة أعم وأشمل من الابتلاء، ومن الاختبار، إذ أن لكل من الابتلاء والاختبار معني يوضحه، وكلمة الفتنة تشملهما معاً، وتشمل غيرهما من المعاني، التي جرت على لسان العرب، ودونت في كتبهم، وسبقت الإشارة إليها في تعريف الفتنة.

ج . يستخدم لفظ الفتنة عند التعبير عن شدة البلاء النازل في المكروه، وصعوبة الاختبار النازل على الإنسان في المكروه أو المحبوب كذلك.

---

(١) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ٣٠ / ٣٢٩، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤هـ، بدون رقم الطبعة

المَبحَثُ الثَّانِي:

طبيعة الفتن وصفات أهلها.

ينقسم هذا المبحث إلى جزأين، جزء يتعلق بطبيعة الفتن وصفاتها، وجزء يتعلق بأوصاف أهلها وأحوالهم.

أما الجزء الأول الخاص بطبيعة الفتن وصفاتها، فبيانه فيما يلي:

بينت الأحاديث النبوية الشريفة طبيعة الفتن وما تحمله من شدة ومتاعب، ووصفتها بصفات كثيرة تبين أحوالها وخصائصها، وترسم صورة واضحة لها، ومن ذلك:

١ – وقوع الفتن كالظلل(١).

عَنْ كُرْزِ بْنِ عَلْقَمَةَ الْخُزَاعِيِّ(٢)، قَالَ: ((قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لِلإِسْلاَمِ مِنْ مُنْتَهَى؟ قَالَ: أَيُّمَا أَهْلِ بَيْتٍ؟ وَقَالَ: فِي مَوْضِعٍ آخَرَ قَالَ: نَعَمْ، أَيُّمَا أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ، أَوِ الْعُجْمِ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الإِسْلاَمَ قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟(٣) قَالَ: ثُمَّ تَقَعُ الْفِتَنُ كَأَنَّهَا الظُّلَلُ قَالَ: كَلاَّ وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، ثُمَّ تَعُودُونَ فِيهَا أَسَاوِدَ صُبًّا(٤)، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ))(٥).

والشاهد في هذا الحديث الشريف، قوله صلى الله عليه وسلم " كأنها الظلل "، حيث وصف النبي الكريم، الفتن بالعظم والضخامة، كالجبل، أو كالسحابة الكبيرة، التي يستظل بظلها، وهي من حجمها تعم أعداداً غفيرة، ويقع تحت وطأتها جموع هائلة من الناس، ويكتوي بنيرانها خلق كثير.

٢– وصف الفتن بأنها كقطع الليل المظلم:

وهذا بين، في قوله صلى الله عليه وسلم: ((بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا))(٦). ((أَيْ: سَابِقُوا وَسَارِعُوا بِالِاشْتِغَالِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ " فِتَنًا " أَيْ: وُقُوعَ فِتَنٍ " كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ "؛ لِفَرْطِ سَوَادِهَا وَظُلْمَتِهَا، وَعَدَمِ تَبَيُّنِ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ فِيهَا))(٧). فالفتن عند وقوعها، كما يصورها الحديث الشريف تكون مثل ظلمات الليل البهيم، لا يرى الإنسان المفتون من شدة اسوداده شيئاً، ولا

---

(١) الظُّلَلُ: واحِدَتُها: ظُلَّة. أراد كأنَّها الجبالُ، أو السُّحُب، راجع: أبا منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ١٤/ ٢٥٧، تحقيق: محمد عوض المرعب، دار التراث العربي، ط الأولى ٢٠٠١م. وراجع: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي ١/ ١١٦، دار إحياء التراث العربي، ط: الثانية، بدون ذكر سنة الطبع.

(٢) الصحابي الجليل: كُرْز بن عَلْقَمة الخزاعي . رضي الله عنه . توفي بين ٥١ – ٦٠ هـ، لَهُ صُحْبة، ورواية، وهُوَ الذي قفا أثَر النَّبِيّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأَبِي بَكْرٍ، فانتهى إِلَى باب الغار فَقَالَ: هنا انقطع الأثر، وَهُوَ الذي قال عن قدم النَّبِيَّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذِهِ القدم من تلك القدم التي في المقام، يعني قدم إِبْرَاهِيم . عَلَيْهِ السلام . عُمّر كُرْز عمرًا طويلًا. وكتب مُعَاوِيَة إِلَى عامله: مُرْ كُرْز بن علقمة يوقفكم عَلَى معالم الحرم، ففعل، فهي معالمه إِلَى الساعة، راجع: الذهبي، تاريخ الإسلام ٢/ ٥٣٤، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى ٢٠٠٣م.

(٣) مَهْ: زجْرٌ وَنهي. وَتقول: مَهْمَهْتُ؛ أَي: قلت لَهُ: مَهْ مَهْ. راجع: الأزهري، تهذيب اللغة ٥/ ٢٥٠.

(٤) الأساوِدُ: الحيّات، يقال: ينصَبُّ بالسَّيْف على رأس صاحِبه كما تَفعَل الحيَّة إذا ارتفعتْ فلسَعتْ من فوق، راجع الأزهري، تهذيب اللغة ٤/ ٣٠٨.

(٥) أخرجه أحمد في المسند رقم: ١٥٩٥٨، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، ورجاله ثقات، انظر: المسند ٣/ ٤٧٧.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، رقم: ٣٢٨، انظر صحيح مسلم١/ ٧٦.

(٧) الملا على القارئ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/ ٣٣٨٣، دار الفكر، بيروت، ط الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

يقع في غياهبه على أمر مفيد، وتغيب عنه الحقائق، ولا يستطيع أن يتبين كثيراً من المتشابهات، أو يتمكن من التفرقة بينها، حتى يصل الأمر بالإنسان أن يؤمن بعد كفره، أو يكفر بعد إيمانه من شدة تخبطه وضلاله، ولا ينجو من ذلك إلا من كانت لديه معرفة سابقة، وإلمام كاف بما ينبغي أن يفعل عند حدوث هذه الفتن، مع عناية الله تعالى به وعصمته له.

٣ . نزول الفتن كوقع القطر:

عنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ . صلى الله عليه وسلم . عَلَى أُطُمٍ(١) مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: ((هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى ؟ قَالُوا: لاَ قَالَ: فَإِنِّي لأَرَى الْفِتَنَ تَقَعُ خِلاَلَ بُيُوتِكُمْ كَوَقْعِ الْقَطْرِ))(٢). ففي هذا الحديث الشريف، شبه النبي الكريم . عليه الصلاة والسلام . نزول الفتن بنزول القَطر، وهو: المطر، ((والتشبيه للكثرة والعموم))(٣) وكذلك للتتابع؛ لأن المطر عند نزوله في الغالب ينزل كثيراً عاماً، منهمراً، متفرقاً.((وإنما اختصت المدينة في قوله عليه الصلاة والسلام: " خِلاَلَ بُيُوتِكُمْ "بذلك؛ لأن قتل عثمان . رضي الله عنه . كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل(٤) وبصفين(٥) كان بسبب قتل عثمان، والقتال بالنهروان(٦) كان بسبب التحكيم بصفين، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه))(٧).

٤. تشبيه الفتن بالدخان:

شبه النبي الكريم الفتن بالدخان، والدخان عند وجوده تنعدم الرؤية، أو تضعف مع وجود صعوبة بالغة في التنفس، وهذه العوامل تجعل الإنسان مضطرباً، ضيق الصدر، مشوش الفكر عديم الرؤية، أو قليلها، يتخبط يميناً ويساراً، وكل هذه الأمور تجتمع مع حلول الفتنة ونزولها بالناس. يقول النبي الكريم: ((إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ الدُّخَانِ، يَمُوتُ فِيهَا قَلْبُ الرَّجُلِ

---

(١) الأُطُم: حِصْنٌ مَبْنِيٌّ بحجارة، وقيل: هو كل بيت مُرَبَّع مُسَطَّح، وقيل: الأُطْم مثل الأَجَم يخفف ويثقَّل، والجمع القليلُ: آطامٌ، والكثير: أُطُومٌ. راجع: ابن منظور، لسان العرب ١٢/ ١٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "ويل للعرب من شر قد اقترب، رقم:٦٦٥١، انظر صحيح البخاري ٦/ ٢٥٨٩.

(٣) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٤/ ١٨٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون بيانات أخرى.

(٤) موقعة الجمل: موقعة دارت بين سيدنا علي . رضي الله عنه . بجيشه، وبين طلحة والزبير وعائشة . رضي الله عنهم . ومن معهم، في البصرة بالعراق في السنة السادسة والثلاثين في جمادى الآخرة، وأزهقت فيها أرواح كثيرة، وقتل فيها طلحة، والزبير . رضي الله عنهما . وانتصر علي وجيشه، وأكرم عائشة وأرجعها إلى المدينة. راجع في ذلك: ابن كثير، البداية والنهاية ٧/ ٢٥٧. ٢٧٦، دار إحياء التراث العربي، ط أولى١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٥) موقعة صفين: في شهر صفر سنة ٣٧هـ، التقى علي وصحبه بمعاوية ومؤازريه، ودام القتال بينهم أياماً، وعندما لاح النصر لأصحاب علي رفع أهل الشام المصاحف على رؤوس الرماح، فتوقف القتال، وتداعوا إلى الصلح، فاختار أصحاب علي أبا موسى الأشعري، اختار معاوية عمرو بن العاص. واجتمع الحكمان في دومة الجندل في رمضان من عام ٣٧ هـ. ولم يتفقا على شيء ورجعا من غير تفاهم . رضي الله عن الصحابة. راجع في ذلك: ابن كثير، البداية النهاية ٧/ ٢٨٢.

(٦) النهروان: موقعة دارت بين سيدنا علي . رضي الله عنه . وبين الخوارج، لما رفض فريق منهم التحكيم، وخرجوا على طاعته، وكان عددهم آنذاك حوالي اثني عشر ألفا، حاربهم الخليفة وهزمهم في معركة النهروان عام ٣٨ هجري، وقضى على معظمهم ، ولكن تمكن بعضهم من النجاة والهرب. راجع: ابن كثير، البداية والنهاية ٧/ ٣٨٣.

(٧) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري١٢/ ١٢.

كَمَا يَمُوتُ بَدَنُهُ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ فِيهَا أَقْوَامٌ أَخْلاقَهُمْ، وَدِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا))([1]).

٥- وقوع الفتن كرياح الصيف:

شبه النبي الكريم . عليه الصلاة والسلام . الفتن أيضاً برياح الصيف في تتابعها، وسرعة مجيئها، وشدة حرارتها، وتنوعها، وعدم استقرارها، فإنها تغدو وتروح، كما في حديث حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ . رضي الله عنه . الذي قال فيه: وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ وَمَا بِي إِلاَّ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . أَسَرَّ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ: ((مِنْهُنَّ ثَلاَثٌ لاَ يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا([2]) وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ))([3]). قَالَ حُذَيْفَةُ: فَذَهَبَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي. وإنما خصها برياح الصيف؛ ((يريد أن فيها بعض الشدة، لأن رياح الشتاء أقوى))([4])، والمقصود بتشبيه الفتن برياح الصيف أنها لا تستقر، فهي بين الشدة والضعف، فلا يطمئن معها المرء ولا يستقر على حال، ولا يتمكن من أن يوطن نفسه على استعداد لحدث معين.

٦- الفتن يرقق بعضها بعضاً:

والمقصود بذلك: أن الفتنة المتأخرة تكون أشد من سابقتها؛ حتى يوقن الذي حضر الفتنتين، أن الأولى أرق بكثير من الثانية وأخف وأضعف؛ فتهون الأولى في نظره كلما تذكرها وهذا بين في حديث طويل للنبي . صلى الله عليه وسلم . يقول في بعضه: ((وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ، فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي. ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ ...))([5]).

٧- تموج كموج البحر:

شبهت الفتن بموج البحر لقوتها، وشدة اضطرابها وحركتها المستمرة، واضطراب الناس فيها، واختلال أحوالهم وتوازنهم في محيطها، ومدافعتها لهم، وطغيانها عليهم، وعدم القدرة على الخروج منها بسهولة.

عَنْ حُذَيْفَةَ . رضي الله عنه . أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . ((قَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . فِي الْفِتْنَةِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ. قَالَ: هَاتِ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ([6])، قَالَ رَسُولُ اللهِ . صلى الله عليه وسلم: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ: لَيْسَتْ هَذِهِ، وَلَكِنِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند رقم: ١٥٧٩١، قال شعيب الأرنؤوط: مرفوع، صحيح لغيره دون قوله: " فتناً كقطع الدخان يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه " وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان، وباقي رجاله ثقات، رجال الصحيح، انظر: المسند ٣/ ٤٥٣.

(٢) فهذه الثلاث قد جرت في زمن الصحابة من قبل عثمان، وفي الجمل، وصفين، ما لم يكدن يذرن شيئًا لولا رحمة الله. راجع: يحيى بن هُبَيْرَة، الإفصاح عن معاني الصحاح ٢/ ٢٤٩، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، سنة ١٤١٧هـ.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفتن، باب إخبار النبي . صلى الله عليه وسلم . فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم:٢٨٩١، انظر الصحيح ٨/ ١٧٢.

(٤) ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ١٠/ ٢٩، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار البيان، ط الأولى، ١٩٧٢م.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، رقم: ٤٨٨٢، انظر: صحيح مسلم ٦/ ١٨.

(٦) مِنَ الْجَرَاءَةِ وَهِيَ: الْإِقْدَامُ عَلَى الشَّيْءِ، وَمَعْنَاهُ: إِنَّكَ غَيْرُ هَائِبٍ، قَدْ تَجَاسَرْتَ عَلَى مَا لَا أَعْرِفُهُ، وَلَا يَعْرِفُهُ أَصْحَابُكَ راجع: الملا على القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/ ٣٤٢٥، دار الفكر، بيروت، ط الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: يُفْتَحُ الْبَابُ، أَوْ يُكْسَرُ قَالَ: لاَ، بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لاَ يُغْلَقَ، قُلْنَا: عَلِمَ الْبَابَ؟(١) قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ، وَأَمَرْنَا

مَسْرُوقًا(٢) فَسَأَلَهُ فَقَالَ: مَنِ الْبَابُ؟ قَالَ: عُمَر))(٣).

٨- عرض الفتن على القلوب، واختلاف أحوال الناس فيها.

من أحوال الفتن أنها تعرض على قلوب الناس فمنهم من يقبلها ويُقبل عليها، وتلتبس عليه، ويتلبس بها، فهذا هو الشقي الهالك، ومنهم من يردها ولا تُرديه، ويعرض عنها، ولا تستهويه، وهذا هو السعيد الناجي. قَالَ حُذَيْفَةُ . رضي الله عنه . سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . يَقُولُ: ((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ؛ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا(٤)، فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا(٥) كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا(٦) لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاه))(٧)، و((لَيْسَ تَشْبِيهه بِالصَّفَا، لِبَيَاضِهِ، لَكِنْ لِشِدَّتِهِ عَلَى عَقْد الْإِيمَان وَسَلَامَته، وَأَنَّ الْفِتَن لَمْ تُلْصَق بِهِ، أَوْ تُؤَثِّر فِيهِ، كَالصَّفَا))(٨).

٩- تُذهِب عقول الرجال وتُميت قلوبهم.

إن للفتنة تأثيراً خطيراً على عقول الناس، وأثراً بالغاً في القلوب، فهي تتسلط على العقول حتى تذهب بها، أو تضعفها، وعلى القلوب حتى تميتها، أو تُمرضها فلا ترى للرجل رأياً سديداً، أو عقلاً رشيداً، ويصبح عندئذ عموم الناس بلا بصيرة، يتساقطون في الفتنة تساقط الفراش في النار، دون حذر أو احتياط، فيأخذ الطيش منهم كل مأخذ. روى عَنْ أبي موسى الأشعري . رضي الله عنه . قال في حديث طويل: أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً كَانَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . يُحَدِّثُنَاهُ فَقُلْنَا بَلَى يَرْحَمُكَ اللَّهُ. قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . يُحَدِّثُنَا « أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ ». قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: « الْكَذِبُ وَالْقَتْلُ ». قَالُوا: أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ الآنَ؟ قَالَ: « إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْكُفَّارَ، وَلَكِنَّهُ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضاً حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَيَقْتُلَ أَخَاهُ، وَيَقْتُلَ عَمَّهُ، وَيَقْتُلَ ابْنَ عَمِّهِ ». قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَمَعَنَا عُقُولُنَا! قَالَ: « لاَ، إِلاَّ أَنَّهُ يَنْزِعُ عُقُولَ أَهْلِ ذَاكُمُ الزَّمَانِ،

---

(١) يعني هل علم عمر. رضي الله عنه . من هو الباب الحاجز بين الناس والفتن؟

(٢) التابعي الجليل: مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني، ثقة، من اليمن. لم تعلم ولادته، توفي عام٦٣هـ قدم المدينة في عهد أبي بكر. سكن الكوفة. وشهد حروب علي. وكان أعلم بالفتيا من شريح. راجع: الزركلي، الأعلام ٧/ ٢١٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم ٣٣٩٣، انظر صحيح البخاري ٣/ ١٣١٤.

(٤) الصفا: الْحَجَر الْأَمْلَس الَّذِي لَا يَعْلَق بِهِ شَيْء. راجع النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٢/ ١٧٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٥) مرباداً: مُربادّ، وربادَّ الشَّيءُ: اربَدَّ؛ تغيّر لونُه شيئًا فشيئًا، راجع: أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢/ ٨٤٤، عالم الكتب، ط الأولى ٢٠٠٨م.

(٦) المُجَخَّي: المائلُ عن الاستقامة والاعتدال، راجع: الأزهري، تهذيب اللغة ٧/ ١٩٤.

(٧) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، رقم ٣٨٦، انظر صحيح مسلم ١/ ٨٩.

(٨) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٢/ ١٧٢، بتصرف يسير جداً.

حَتَّى يَحْسِبَ أَحَدُكُمْ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ، وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تُدْرِكَنِي وَإِيَّاكُمْ تِلْكَ الأُمُورُ ». وَمَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجاً فِيمَا عَهِدَ إِلَيْنَا نَبِيُّنَا ـ صلى الله عليه وسلم ـ إِلاَّ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْنَاهَا لَمْ نُحْدِثْ فِيهَا شَيْئاً))([1]).

١٠. تدخل كل بيوت العرب.

تعم الفتن العرب جميعاً، فلا تدع بيت أحد إلا دخلته، وهذه من عموم البلوى، وشدة العناء؛ إذ لو كانت الفتن محصورة في فئة بعينها، أو مكان مخصص، لكان من السهل معالجتها والتعامل معها بيسر، ووأدها وهي في مهدها، قبل أن يستفحل أمرها ويستشري خطرها، أو حتى البعد عن مكانها إلى آخر، إلا أنها عامة في العرب شاملة لهم، تنبت بذورها في مساحات عريضة، وتشربها قلوب مريضة، فتحتاج عندئذ إلى جهد بالغ، وعمل دؤوب، ودفع مستمر؛ لتقليل آثارها السلبية، والتفلت منها. فعن عَوْفِ بْنَ مَالِكٍ([2]) ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ([3])، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ([4])، فَقَالَ: اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ([5])، ثُمَّ مُوتَانٌ([6]) يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ([7])، ثمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلاَّ دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا))([8]).

١١ـ اغراء الفتن للناس في بدايتها.

كثير من الناس يسرع إلى الفتن بتهور، ويقع فيها وهو يتصور أنه يؤدي عملاً بطولياً، ويرى من يشجعه ويحجم، ويغريه ولا يتقدم، حتى يرى نفسه في محيط الأحداث، فلا يجد بداً من أن يستمر فيما هو فيه، ويستحسن الفعل الذي يرتكبه أو يؤديه. لكن هذا الأمر لا يتم بهذه الصورة العشوائية.

والحاصل أن للفتنة مظهراً خادعاً في مبدئه، حتى يستحسن الناس صورتها، وينخدعوا بها ويعقدوا عليها الآمال، عندها سرعان ما تنتهي وتتلاشى، ولا تبقي لهم سوى الحسرة والندامة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند رقم ١٩٦٥٣، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أسيد بن المتشمس، فمن رجال ابن ماجه، وهو ثقة، انظر: المسند ٤/ ٤٠٦.

(٢) الصحابي الجليل: عوف بن مالك الأشجعي، الغطفاني ـ رضي الله عنه ـ من الشجعان الرؤساء، لم يعرف عام ولادته، وتوفي: (٧٣ هـ = ٦٩٢ م)، أول مشاهده خيبر، وكان معه راية " أشجع " يوم الفتح. نزل حمص وسكن دمشق. له ٦٧ حديثاً، راجع: ابن حجر، الإصابة ٣/ ١١، الزركلي، الأعلام ٥/ ٩٦.

(٣) كانت غزوة تبوك في شهر رجب سنة تسع هجرية، توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزو الروم، وكان ذلك في زمن عسرة من الناس وجدب من البلاد، راجع: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٥/ ٤٣.

(٤) الأدم: الجلد المدبوغ، راجع: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠/ ٣١٣، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٥) كان فتح بيت المقدس على يد عمر بن الخطاب سنة ١٦هـ، راجع: ابن كثير، البداية والنهاية ٧ / ٦٧، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٦) المُوتَان، والمُوَاتُ بالضّمّ: مَوْتٌ يَقَعُ في المَاشِيَةِ، المُوتُ الكثيرُ الوُقوعِ، وقيل: إنّ الضَّمَّ لُغةُ تميمٍ، والفَتْح لغةُ غيرِهم، راجع: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ٥/ ١٠٥، تحقيق: مجموعة من المحققين دار الهداية، بدون بيانات أخرى.

(٧) القُعاص بالضم: داء يأخذ الغَنم لا يُلْبِثُها أن تموت، راجع: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر٤/ ١٣٤، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطنا، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٨) أخرجه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب مَا يُحْذَرُ مِنَ الْغَدْرِ، رقم ٣٠٠٥، انظر صحيح البخاري ٣/ ١١٥٩.

وهذا الأمر ملاحظ بقوة في أوقات وقوع الفتن والاختلافات القائمة على ضغائن شخصية، وأمراض نفسية، واتهامات للنوايا، واستحضار لمواقف سابقة، وربما تحول النزاع اللفظي إلى نزال ميداني تسال فيه الدماء، وتزهق فيه الأرواح، ((كما حدث في القتال بين أتباع المذاهب الفقهية في بغداد وخراسان في القرن الخامس والسادس الهجري. يتعصب كل فريق لشيخه ومعلمه، وتنقلب حرباً ضروساً بين الناس))([1]).

والمستفاد مما سبق:

أن من طبيعة الفتن وصفاتها: الشدة والمشقة، والعموم، والاضطراب، وعدم وضوح الرؤية في وجودها، فهي تؤثر على سلامة الفكر، وصفاء الذهن، واستقرار الإيمان. إلى غير ذلك من أحوال مجيء الفتنة وتنوعها، وشدتها، وأثرها في قلوب العباد، وحال الناس عند نزول الفتنة التي تشتبه عليهم، كما هو معروف أن الفتنة إذا أقبلت اشتبهت، فإذا أدبرت تبيَّنت.

وأما الجزء الثاني من هذا المبحث، فيتعلق بأوصاف أهل الفتن وأحوالهم.

أوصاف أهل الفتن وأحوالهم:

يمكن وصف الخائضين في الفتن، واستبانة ملامح شخصياتهم، ومعرفة أحوالهم من خلال النقاط الآتية:

١. الإفراط في العبادة والمغالاة فيها.

قد يكون السواد الأعظم في أمواج الفتن من العامة والدهماء، الذين لا يرصد لهم عمل، ولا يحسب لهم حساب، ولا يلتفت إليهم ناظر، لكن الرؤوس المدبرة للفتنة، المحركة للجموع الغفيرة منهم، لابد أن تظهر بينهم بمظاهر التقوى والورع، وأن تخرج عليهم بلباس الزهد والتنسك، والحرص الزائد على الطاعة والالتزام؛ ليمثل ذلك قوة دافعة وحالاً داعماً للتأثير على الأتباع، فيجد الاستجابة منهم عند الأمر والنهي. ويُرى هذا وضحاً في هؤلاء الناس الذين يمثلون أبواق الفتن في شتى بقاع الأرض، قديماً وحديثاً، الذين يتزعمون فرقاً، ويمزقون الأمة شيعاً، حتى إن المسلم المعتدل الملتزم يحقر صلاته إلى صلاتهم، ويستقل طاعته بالنسبة لما يظهرونه، وقد أشار النبي الكريم إلى هؤلاء في الحديث الذي يرويه سيدنا علي رضي الله عنه حيث قال: أيها الناس إني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم يقول: ((يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلاَ صَلاَتُكُمْ إِلَى صَلاَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلاَ صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لاَ تُجَاوِزُ صَلاَتُهُمْ([2]) تَرَاقِيَهُمْ([3])، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ([4]))([5]).

٢. المسارعة إلى تكفير الناس وتفسيقهم.

---

(١) راجع: ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٩/ ٣٢٢، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٢) المراد بالصلاة هنا: القراءة؛ لأنها جزؤها، انظر: صحيح مسلم ٢/ ٧٤٦.

(٣) الترقوة: بِفَتْح التَّاء وَضم الْقَاف، عظم بَين ثغرة النَّحْر والعاتق، راجع: القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحيح الآثار، ١/ ١٢١، المكتبة العتيقة ودار التراث، بدون بيانات أخرى.

(٤) يَخْرُجُونَ مِنْهُ خُرُوج السَّهْم إِذَا نَفَذَ الصَّيْد مِنْ جِهَة أُخْرَى، وَلَمْ يَتَعَلَّق بِهِ شَيْء مِنْهُ، وَ(الرَّمْيَّة) هِيَ: الصَّيْد الْمَرْمِيّ، راجع: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٤/ ١٩.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، رقم: ١٠٦٦، انظر: صحيح مسلم٢/ ٧٤٦.

من صفات دعاة الفتنة، المهرولين فيها، مسارعتهم إلى رمي الناس بالفسق، والفجور، وعظائم الأمور، وإخراجهم من الملة بذنب يقترفه الإنسان، أو يختلقونه له؛ وذلك ليتسنى لهم تبرير قتالهم، أو معاداتهم، وضمان وقوف الناس تجاههم محايدين، إن لم يكونوا مؤيدين، ثم بعد ذلك يمدون إليهم أيديهم، وألسنتهم بالسوء، دون نكير من أحد، ويسعون في الأرض فساداً، وتنتشر نار الفرقة ويزيد الاحتقان بين الناس، والتربص لبعضهم البعض، وتعم الفوضى وتضطرب الأمور، وتفسد العلاقات، وتنبت بذور الحقد والكراهية، وتتمكن العداوة والبغضاء من نفوس الناس، وتكون الحالقة، التي حذر منها . صلى الله عليه وسلم . وبين أنها فساد ذات البين، وذلك في قوله الذي يرويه أبو الدرداء رضي الله عنه: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ ». قَالُوا: بَلَى. قَالَ: « صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ»))([1]).

٣. الاعتماد على الخطب الحماسية فقط.

يعتمد أهل الفتنة ودعاتها على إثارة المشاعر، وتحريك العواطف بشكل ملحوظ، دون الاستناد إلى دليل من شرع أو عقل، ومحاولة تهييج العامة الذين يتخذونهم وقوداً لاستمرار الفتنة واشتعالها، والاضطراب والذعر والفوضى، وقد ظهر هذا واضحاً جلياً في الوطن العربي، وتراءت تلك الأمور بشكل ملحوظ أثناء الاضطرابات التي أحاطت بالمنطقة العربية منذ سنة ٢٠١١م، وقد قام لكل جماعة داع يحرض بقوة، وخطيب يدعو باستماتة، ويلهب حماس أتباعه، ويحاول جاهداً أن يستبقيهم على موقفهم من التوتر والتحفز والاستعداد للهيجان والانفعال، والتحرك في أي وقت نحو القتل والتخريب والاصطدام، والتطاول بالسباب والشتائم، والتجرؤ بتحطيم القيم والمبادئ، دون وعي حقيقي لعواقب الأمور، أو نظر في نتائج هذه التحركات، والأخطار التي تنجم عنها، صامّين آذانهم عن دعوة الحق وتأليف القلوب ووحدة الكلمة والصف.

وأصدق وصف لهذه التحركات غير المدروسة هو الغوغائية والفوضى.

٤. إتباعهم الهوى.

من علامات أتباع الفتن وصفات دعاتها، إتباع هوى النفس، وعدم الانصياع لداعي الحق؛ فينتج عن ذلك العبث بحقوق الآخرين، والعدوان على المصالح العامة، وعدم مراعاة الضوابط الدينية، أو الروابط الاجتماعية، عندئذ يقع الضلال بينهم، وتختلط الأوراق، وتعمى البصيرة، وتعمُّ الفتنة ويستطير شرها، ومن المعروف أنَّ ((جميع المعاصِي تنشأُ من تقديمِ هوى النفوسِ على محبةِ اللَّهِ ورسولِهِ. وقد وصفَ اللهُ المشركينَ باتِّباع الهَوى في مواضعَ منْ كتابِهِ، قال تعالى:﴿ فَإِن لَّم يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاه بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾[القصص: ٥٠]. وكذلكَ البدعُ إنَّما تنشأُ من تقديمِ الهَوى على الشَّرعِ، ولهذا يُسمَّى أهلُها أهلَ الأهواءِ. وكذلكَ المعاصِي إنَّما تقعُ من تقديمِ الهوى على محبةِ اللَّهِ، ومحبةِ ما يحبه))([2])، وبقاء الهوى قائداً مطاعاً يسير الناس خلفه، وينقادون له، يجعل أمد الفتنة

يطول، والقدرة على إخمادها من الصعوبة بمكان.

٥ . الكذب والتلفيق.

يُلحظ على أهل الفتنة تلفيق الحقائق، والكذب الواضح، فيعرفون به، وبه ينفقون بضاعتهم بين الناس، وعلى أساسه ينسجون خيوط أثوابهم التي تكشف عوراتهم، ويبنون جسور التواصل مع جماعتهم التي عما قليل تتهاوى بمن يعبرون على ظهورها، فإن

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب إصلاح ذات البين، رقم :٢٥٠٩، قال أبو عيسى: هذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَيُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَنَّهُ قَالَ: « هِيَ الحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ»، انظر: سنن الترمذي ٤/ ٦٦٣.

(٢) ابن رجب الحنبلي، روائع التفسير، ١/ ٢٠٢، دار العاصمة، السعودية، ط الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

لم تسقط بهم أسلمتهم إلى طريق الفجور، الذي يرتع فيه الضالون، ويكثر فيه المجرمون، كما قال . صلى الله عليه وسلم . فيما يرويه عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه: ((وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا))([1]).

٦. الفجور في الخصومة.

مادام الكذب هو لسانهم الذي يتحدثون به، ويدهم التي يبطشون بها، ورجلهم التي يمشون بها بين الناس؛ فإن نهايتهم إلى الفجور في الخصام أكيدة، وفترات عداوتهم مستمرة ومديدة، وقد شابهوا بذلك المنافقين إن لم يكونوا هم، والنبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . يقول مبيناً صفات المنافق فيما يرويه عنه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: ((وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ))([2]). فأصحاب الفتن ورؤوسها إذا تخاصم معهم أحد من الناس، تعدوا الحد وتجاوزوا المعقول، وذهلوا عن المنقول، وأظهروا من لازم قول المخالف ما لم يلتزم به، وأشاعوا عنه كل قبيح، متظاهرين في ذلك بالانتصار للسنة والدفاع عن الحق.

٧. التعالم.

وهذه مصيبة إذا حلت بقوم فقد آذنتهم بالهلاك، وأنذرتهم بالبوار؛ ودعاة الفتنة متعالمون، لا يملكون العلم الصحيح، ولا القريحة المتوقدة ؛لاستخراج الأحكام، أو حتى فهم ما سبقهم إليه الأئمة الأعلام، فهم دائمو التقلب في جهالة جهلاء، وضلالة عمياء، يذكُّون نار الفتنة بما معهم، من بضاعة مزجاة، ونتف ينسبونها إلى العلم مهملة ملقاة، ويشتد خلافهم مع الناس، فمن المعروف أن من قلَّ علمه كثر خلافه، ومن كثر علمه قلَّ خلافه، وهؤلاء قد قلَّ علمهم واضمحل، وظهر المتحدث منهم يزل ويضل؛ لذا فإن خلافهم دائم، وضلالهم قائم، روى عبد الله بن عمرو . رضي الله عنه . عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا))([3]).

٨. الكبر والتعالي:

يتصف المَفتونُ بالكبر والتعالي على الناس والغطرسة والافتخار بما يملك من مال أو ولد، ولا يرى لأحد عليه منة أو تفضل، إنما هو بمحض ذكائه وجهده، يقول الله تعالى واصفاً حال قارون:﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ القصص﴾[القصص: ٧٨].

٩. الإعراض عن الحق:

المفتونون بالأموال، أو الأولاد أو ما شاكل ذلك من النعم هم أول المعرضين عن الحق، قال تعالى مبيناً هذا المعنى﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[سبأ: ٣٤، ٣٥].

هذه أوصاف أهل الفتن وصفات الخائضين فيها وأحوالهم، وأهم ملامح شخصياتهم.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة: ١١٩] وما ينهى عن الكذب، رقم ٥٧٤٣، انظر صحيح البخاري ٥/ ٢٢٦١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب علامة المنافق، رقم ٣٤، انظر صحيح البخاري ١/ ٢١.

(٣) أخرجه البخاري في، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، رقم: ١٠٠، انظر صحيح البخاري ١/ ٥٠.

المَبحَثُ الثَّالِثُ:

جذور الفتن وتاريخها، وأماكن خروجها.

إذا أردنا الفتن المتعلقة بالمال والنساء والولد والشبهات، فإن ذلك مغروس في النفس البشرية، إذ ترى في أساسها المحبة لهذه الأشياء والسعاية للاستكثار منها، فمصدرها النفس البشرية وما جبلت عليه ومكمنها داخل النفس، ومنها منطلقها، وإذا لم يستطع الإنسان التحكم في غريزته ناحية حب المال، والولد، والميل ناحية النساء ويتعامل مع كل هؤلاء وفق شريعة الله تعالى، فقد وقع في المحظور، كما أنه إذا لم تضبطه القواعد العلمية عند دراسة الشبهات فقد شوَّش على فكره، ولبَّس على عقيدته، وتكون النفس البشرية هي المستودع الذي يخرج منه كل ما سبق.

وأما الفتن التي تعصف بالأمة وتهلك أفرادها، فإن الناظر في السنة النبوية يجد أن الأماكن التي حُدّدت بظهور الفتن منها هي: بلاد المشرق . والعراق في هذه الجهة . والتاريخ الإسلامي شاهد على ذلك، فالمتأمل يلحظ أن أكثر الفتن التي ألمّت بالمسلمين كان خروجها من هناك، مع أنه لا يوجد مكان معصوم من الفتن كلها وظهورها فيها، ولو كانت مدينة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . والتي عصمت فقط من فتنة الدجال، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلاَئِكَةٌ، لاَ يَدْخُلُهَا الدَّجَّالُ، وَلاَ الطَّاعُونُ))(١). كما ورد أَنَّ دِمَشْقَ من الْبِلاد الْحَصينَة ضِدّ الْفتَن وَتَكون مَلاذًا لِلْمسلِمين عند وقُوع مُلِمَّات آخِر الزَّمان قَال النَّبِي الْكَرِيم: ((سَتَفْتَحُ عَلَيكُمْ الشام، فَإِذَا خُيِّرْتُم الْمَنَازِلَ فِيهَا، فَعَلَيكُمْ بِمَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا دِمَشْق، فَإِنَّهَا مَعْقِلُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَلاَحِمِ، وَفُسْطَاطُهَا مِنْهَا بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا الْغُوطَةَ(٢)))(٣).

وقد أشاد الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . بفضل الشام، ومكانته فقَالَ عليه رضوان الله تعالى مبيناً ذلك: ((تَعْلَمُنَّ أَنَّكُمْ بِحَيْثُ تَخْتَلِفُ الإِنْسُ مِنْ بَيْنِ بَابِلَ(٤) وَالْحِيرَةِ(٥)، تَعْلَمُنَّ أَنَّ تِسْعَةَ أَعْشَارٍ مِنَ الْخَيْرِ وَعُشْرًا مِنَ الشَّرِّ بِالشَّامِ، تَعْلَمُنَّ أَنَّ تِسْعَةَ أَعْشَارٍ مِنَ الشَّرِّ وَعُشْرًا مِنَ الْخَيْرِ بِسِوَاهَا، وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ مَسْعُودٍ بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَكُونَ أَحَبُّ شَيْءٍ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ إِلَى أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ أَحْمِرَةٌ تَنْقُلُ أَهْلَهُ إِلَى الشَّامِ))(٦). هذا، وإن كلام رسول الله . صلى الله عليه وسلم . دليل صدق، وشاهد إثبات، على أن العراق موطن أصيل في ظهور الفتن وانتشارها، فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ . رضي الله عنه(٧) يَبْلُغُ بِهِ

---

(١) أخرجه أحمد، في المسند رقم: ٨٨٦٣، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، انظر: المسند٢/ ٢٣٧.

(٢) الغوطة: بضم الغين المعجمة، اسم البساتين والمياه حول دمشق. راجع: العظيم آبادي، عون المعبود ١٢/ ٢٥٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٤١٥هـ.

(٣) أخرجه أحمد، في المسند رقم: ١٧٥٠٥، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف أبي بكر بن أبي مريم. انظر: المسند ٤/ ١٦٠.

(٤) بابل: اسم قرية كانت على شاطيء نهر الفرات بأرض العراق في قديم الزمان، والآن ينقل الناس آجرها. بها جب يعرف بجب دانيال، عليه السلام، يقصده اليهود والنصارى في أوقات من السنة وأعياد لهم. ذهب أكثر الناس إلى أنها هي بئر هاروت وماروت، ومنهم من ذهب إلى أن بابل أرض العراق كلها. راجع: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد ١/ ٣٠٤، دار صادر، بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة ولا سنة الطبع.

(٥) الحيرة: مدينة كانت بأرض الكوفة على ساحل البحر، فإن بحر فارس كان ممتداً إلى أرض الكوفة، والآن لا أثر للمدينة ولا للبحر، ومكان المدينة دجلة. راجع: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد ١/ ٣٥٩.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك رقم: ٨٥٤١، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح. انظر المستدرك ٤/ ٥٠٥ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، المكتبة العلمية، بيروت ١٤١١هـ /١٩٩٠م.

(٧) الصحابي الجليل: أبو مسعود، عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري البدري . رضي الله عنه . لم يعرف مولده، توفي سنة

النَّبِيَّ . صلى الله عليه وسلم . قَالَ:((مِنْ هَاهُنَا جَاءَتِ الْفِتَنُ نَحْوَ الْمَشْرِقِ))([1])، وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. قَالَ: ((سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . يَقُولُ: وَهْوَ عَلَى الْمِنْبَرِ أَلاَ إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا . يُشِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ . مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ))([2]). وعَنِ ابْنِ عُمَرَ . رضي الله عنه . قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُشِيرُ بِيَدِهِ يَؤُمُّ الْعِرَاقَ: هَا، إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، هَا، إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا – ثَلاَثَ مَرَّاتٍ – مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ))([3]). فدلت هذه الأحاديث الشريفة على أن مكمن الفتن ونقطة انطلاقها هي: جهة المشرق، وقد قال النبي . صلى الله عليه وسلم . هذه الأحاديث وهو في المدينة، وكان يشير إلى جهة المشرق، وفي بعض الروايات أنه كان مستقبلاً المشرق. وإنما ((أشار النبي . صلى الله عليه وسلم . إلى المشرق لأن أهله يومئذٍ كانوا أهل كفر، فأخبر أن الفتنة تكون من تلك الناحية، فكان كما أخبر))([4]).

وأكبر شاهد على ذلك: تاريخ الأمة الإسلامية، فمن قلّب صفحاته، وتتبع أخباره ورواياته، خرج بأن كثيراً من الشرور العظام، والفتن الجسام، إنما أديرت في العراق، أو انبجست منها، موضع الكوفة والبصرة وبغداد، ومن تلك الأحداث المروعة التي اضطرب فيها الناس اضطراباً شديداً:

١. المساهمة في تدبير قتل بعض صحابة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ورضي الله عنهم أجمعين . كقتل الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان . رضي الله عنه . على يد طائفة من البغاة المعتدين، الذين تألّبوا عليه من الأمصار، وعلى رأس هذه البلاد العراق، فدخلوا المدينة وثاروا عليه وقتلوه وهو في داره . رضي الله عنه. والشاهد أن العراق قد ساهم فيما حدث لسيدنا عثمان بن عفان.

٢. موقعة الجمل، وصفين، والنهروان، وكان بسبب قتل عثمان . رضي الله عنه . وكانت في المشرق . العراق.

٣. قتل سيدنا الحسين بن علي . رضي الله عنه . سبط رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وكان ذلك في العراق عندما دعاه أهلها؛ ليبايعوه إماماً، ثم لما رأوا يزيد بن معاوية قد أرسل جيشاً عرمرماً تخلوا عنه وخذلوه. ٤. الفتن الاعتقادية التي عصفت بالأمة الإسلامية وعبثت بأمنها، وجرأت أعداءها، ومزقت كيانها وبعثرت انتظامها، كل ذلك قد تولدت شرارته، وتفجرت مشكلاته من الكوفة والبصرة وما حولهما من مدن، ومن أشهر

ما ظهر من الفرق والحركات، وكان لها أثر واضح في إرباك الصف الإسلامي الواحد واختلاف ترتيبه:

أ. فرقة الحرورية([5]): وهي من فرق الخوارج الذين يعرفون بالتنطع في الدين.

ب . فرقة الشيعة، وبداتهم كانت بمناصرة علي . رضي الله عنه . ثم اختلفت توجهاتهم وأفكارهم.

(٤٠ هـ = ٦٦٠ م)، وهو خزرجي، شهد العقبة، وأحداً وما بعدها. ونزل الكوفة. وكان من أصحاب علي، فاستخلفه عليها لما سار إلى صفين، وتوفي فيها. له مئة حديث وحديثان. راجع: ابن حجر، الإصابة ٤/ ٥٣٤.

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى"[الحجرات: ١٣]، رقم: ٣٣٠٧، انظر صحيح البخاري ٣/ ١٢٨٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: الفتنة من قبل المشرق، رقم: ٣١٠٥، انظر: صحيح البخاري ٦/ ٢٥٩٧، ومسلم، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَاب الْفِتْنَةُ مِنْ الْمَشْرِقِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ٤/ ٢٢٢٨.

(٣) أخرجه أحمد، المسند في المسند رقم :٦٣٠٢، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، انظر٢/ ١٤٣.

(٤) بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٤/ ١٩٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون بيانات أخرى.

(٥) الحرورية: جماعة من الخوارج، نسبة إلى حروراء وهي قرية بقرب الكوفة، على ميلين منها، قال السمعاني: كان أول اجتماع الخوارج به، قال الهروي: تعاقدوا في هذه القرية فنسبوا إليها، انظر: صحيح مسلم ١/ ٢٦٥.

ج . الباطنية، وأصحابها يزعمون أن للنصوص في الإسلام ظاهراً وباطناً، والباطن لا يدركه أحد غيرهم([1]).

د . فرقة القدرية الذين ينفون القدر.

هـ . فرقة الجهمية، النافين لصفات الله تعالى، وغيرها من الفرق التي جعلت الأمة أحزاباً، وتركتهم أشتاتاً.

٥. وفي البصرة قامت ثورة الزنج([2]) في عام ٢٥٥هـ.

٦. وفي عام ٢٧٨هـ انبعثت منها حركة القرامطة([3]). وقد عمت البلاء بما أحدثه الزنج والقرامطة في ربوعها.

٧. ظهور التتار وغزوهم للمسلمين في القرن السابع الهجري كان من المشرق([4])، مروراً بالعراق ثم اتجه من العراق إلى العالم الإسلامي، وقد كان بقيادة هولاكو الذي دمّر بغداد، وقتل الكثير من أهل الإسلام وعلمائه.

٨. وفي القرن العشرين الميلادي المنصرم، وكذا القرن الحادي والعشرين الحاضر، هناك من الآمال التي تبددت، والآلام التي تجددت، ما يندى له الجبين ويعتصر له قلب المؤمنين، ومن ذلك:

أ. سقوط العراق في قبضة الاستعمار البريطاني سنة١٩١٤م، زمن الحرب العالمية الأولى، وظلت ترزح تحت نير هذا الاحتلال، حتى سنة ١٩٣٢م، ثم تخلصت منه، ثم عاد إليها لينهب خيراتها، حتى نجت منه سنة ١٩٥٨م. وتخلصت من الحكم الملكي الموالي للاستعمار البريطاني. ولا يخفى على أحد ما يكون في الاحتلال من فتن، ودسائس، وعمالة، وجرائم، وظلم، وإذلال، ومضلات.

ب . ما وقع بين العراق وإيران من حروب طاحنة دَامَت ثَمَانِيَ سَنَوَات من١٩٨٠م . ١٩٨٨م، مما كبّدت الطرفين خسائر فادحة ووقعت فيها جرائم واضحة.

ج . دخول العراق الكويت واجتياحها لها، مما أسفر عنه تخريب ودمار، وإطاحة بأواصر الود بين البلدين، وذلك ليلة الخميس ١١ من شهر محرم الحرام سنة ١٤١١هـ الموافق ٢/ ٨/ ١٩٩٠م.

د . اجتياح العراق، وإسقاط نظامه، ونهب ثرواته، وقتل أهله وتشريدهم، وتكالب الغرب عليه، بتاريخ ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٣م، وتركه فقيراً مسلوباً، تعمُّه الفوضى، وتتوغل فيه الخيانات، وتحاك له الدسائس، وتدبَّر في حقه المؤامرات، وينتشر بين ربوعه القتل والإجرام، والخوف والفزع. وما زال أهله يعانون من جراء هذا العدوان الغاشم، ويكتوون بآثاره المقيتة، فلم يتوقف نزيف جرحه

---

(١) محمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص٢٢، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط الثانية ١٤٠٦هـ.

(٢) الزنج: طائفة من عبيد أفريقية، كانت ثورتهم بين (٢٥٥ – ٢٧٠ هـ)، أثاروا الرعب في الدولة العباسية أكثر من (١٤) عامًا، بقيادة: علي بن محمد الفارسي، وادعى أنه من ولد علي زين العابدين بن الحسين، وادعى الغيب والنبوة، وجهر بعقائد الخوارج، ودعا إلى تحرير العبيد؛ فانضم إليه الكثير، قدم العراق، والبحرين، ثم بغداد٢٥٤هـ، وبنى مدينة سماها (المختارة)، انتصر على الجيش العباسي في مواقع كثيرة، فخرج لهم المعتمد العباسي فهزمهم، وحاصر المختارة، وقتل زعيمهم الخبيث، وانتهت الثورة عام ٢٧٠ هـ، وسقط فيها مليون ونصف، انظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي ١/ ٣١٦، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر١٣٧١هـ، بدون رقم الطبعة.

(٣) القرامطة: حركة باطنية، تنتسب إلى حمدان بن الأشعث، ويلقب بقرمط؛ لقصر قامته وساقيه، وهو من خوزستان، رحل إلى الكوفة. اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري، وكان ظاهرهاً التشيع لآل البيت، والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحقيقتها الإلحاد والإباحية، والقضاء على الدولة الإسلامية. من دعاتها: عبد الله بن ميمون القداح، الذي نشر المبادئ الإسماعيلية في جنوب فارس سنة ٢٦٠هـ. وكذلك الفرج القاشاني في العراق. انظر: الموسوعة الميسرة ١/ ٣٧٨.

(٤) كان ذلك سنة ٦٥٦هـ، وطهر الله منهم البلاد سنة ٦٥٨، في موقعة عين جالوت على يد قطز، وقائد جيشه بيبرس. راجع: ابن كثير، البداية والنهاية ١٣/ ٢٤٩، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

الدامي، أو تُجبَر كسوره المتعددة، حتى كتابة هذه الكلمات (٢٠١٧م)، وهو ما يؤثر بالطبع على دول الجوار وعموم الدول العربية والإسلامية.

د . اتخاذ بعض المنظمات الإرهابية والجماعات المتطرفة العراق موطناً لها؛ تحيك فيها مؤامراتها وتتخذه نقطة انطلاق؛ تنفذ بعض عملياتها التخريبية في داخل العراق مفجرة ومهلكة، وتخرج ببعضها للعالم؛ مروعة ومتوعدة ومغتالة في أحايين كثيرة، وتلبس كل هذا الزور ثوب الإسلام وتصرخ بالدفاع عنه؛ ليبدو هذا الدين أمام العالم مشوهاً وحشياً، يمثله قوم عمون، ويرفع رايته أناس ضالون.

٩. فتن آخر الزمان.

تكون العراق مسرحاً لفتن آخر الزمان وحوادثه، وتنطلق منه إلى سائر بقاع الأرض،((والفتن تبدو من المشرق ومن ناحيتها يخرج يأجوج ومأجوج والدجال(وبها الداء العضال، وهو الهلاك في الدين))([1]).

وهكذا كانت العراق مكمناً لكثير من البلايا، والفتن، والاضطرابات التي حدثت بين المسلمين وحلَّت بديارهم.

وليس معنى ذلك أنها تختص بالفتن وحدها على الإطلاق، وأنها موطن الاضطراب في العالم دون غيرها، فلو كان معنى الفتن ما ينتج عن الاحتلال والثورات الشعبية من فقر وعوز وإهمال، وتدمير، وسلب ونهب وإذلال، فإن معظم الدول العربية تشاركها في ذلك، ولا يخفى ما حدث في كثير من الدول العربية والإسلامية، وما ابتليت به قديماً، وحديثاً من اعتداء عليها، وبطش بها، وانهيار في مقومات حياتها، وضعف في قوتها وتأخر في تقدمها، واستعمار بغيض جثم على صدرها عشرات السنين، ينهب خيراتها، ويعبث بمقدراتها.

وإذا قصد بالفتن تلك الفوضى التي تحل بالبلاد أياً كانت الأسباب، واحتدام الخلاف، وانحسار القيم وضياع المبادئ، فإن أغلب الدول العربية والإسلامية تشترك مع العراق في ذلك، وآخر هذه الأحداث ما أطلق عليه الربيع العربي منذ سنة ٢٠١١م، حيث اشتعلت شرارته، فدمَّرت أكثر مما عمرت، وأفسدت أكثر مما أصلحت، وأفنت أكثر مما أحيت، وفرقت أكثر مما جمعت، وإن كان للبعض فلسفة أخرى لطبيعة هذه الأحداث، ونظرة مخالفة في تفسير أحداثها، إلا أن الواقع الملموس أليم والنتيجة مفزعة، تحكي كوارث فتسكب عبرات، وتثير حسرات، وترسم في لوحتها صوراً شوهاء كانت نتيجتها فوضى ومآسي واضطرابات.

ولكن ربما يكون اختصاص العراق بالذكر وارتباطها بالفتن؛ لانطلاق التحركات الأولى منها، مع زيادة ملحوظة فيها عن غيرها للاضطرابات التي تموج بها أحداثها، والتي بدورها تؤثر بشكل مباشر في استقرار الدولة الإسلامية واتزان أمورها على وجه العموم.

كما أن العراق لا يمكن أن يُجَرَّد من معاني الخير وعموم الفائدة والنفع في القديم والحديث؛ إذ كان فيها من الخيرات والبركات بقدر ما كان فيها من الفتن والويلات، وأكثر، فقد كانت مقصد الملوك والأمراء، وبغيتهم في التنزه والاسترخاء والاستمتاع بمباهج الدنيا المنتشرة بين ربوعها، وما كان عدوان المعتدين عليها، أو طمع المستعمرين فيها إلا لمزاياها الكثيرة، وكنوزها الوفيرة التي منحها الله . تعالى . لها، وخصها بها.

ونظراً لهذا التميز الواضح، فقد اتخذ الخلفاء الفاتحون من مدنها المتميزة عاصمة للدولة الإسلامية، مثل بغداد، واشتهرت فيها حواضر فريدة، كالكوفة والبصرة، وتلألأت فيها منارات العلم والمعرفة، وقصدها كثير من العلماء الأجلاء وخرج منها جمع من

---

(١) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٤/ ٢٠٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون بيانات أخرى.

الفقهاء الأتقياء، كأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، وَالكَرْخِيّ([1])، وكذلك من العلماء المعدودين: ابن الهيثم([2])، كما أنارت الأرض بالقراء المهرة الكرام البررة، كالكوفين الثلاثة: عاصم([3])، والكسائي([4])، وحمزة ([5]) . رحمهم الله تعالى . كما كانت بيئة خصبة؛ لوحي الشعراء، وتحريك مشاعرهم، وتفجير قرائحهم، واستنطاق ألسنتهم بأعذب القصائد والدواوين، وأرق الكلمات التي تلهب مشاعر المستمعين، وتُشجي مسامع الهائمين، ويكفيها فخراً أنها أنجبت المتنبي([6]) أحسن من نطق شعراً ، وصاحب البلاغة فلم يبتعد عنها شبراً ، وكذلك البحتري([7])، وغير هؤلاء كثير ممن هم من مفاخر العرب والمسلمين.

كما أن كنوز العراق لم تقف عند هذه الناحية العلمية، والثروات العقلية، بل فيها من ألوان الثروات المادية القديمة ما لا يخفى على أحد، التي نهب أكثرها من متاحفها العامرة أثناء الاعتداءات المتكررة عليها من المحتلين اللصوص الكبار ومن تربى على أيديهم من المختلسين الصغار. بل وفي المستقبل مع علامات الساعة، سوف ينحسر فراتها عن جبل من ذهب، وذلك بين فيما يرويه أبو هريرة . رضي الله عنه . عن النبي . صلى الله عليه وسلم: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو))([8]).

لذا فقد خرج من أرضها، ولا يزال يخرج من مفاخر الكنوز العقلية، والخيرات المادية، ما يرد ذامَّها عن مراده، ويوقفه متعجباً

---

(١) عبيد الله الكرخي: أبو الحسن عبيد الله بن الحسين الكرخي، كانت حياته بين ٢٦٠ – ٣٤٠ هـ = ٨٧٤ – ٩٥٢ م، فقيه، انتهت إليه رياسة الحنفية بالعراق. ولد في الكرخ، وتوفي ببغداد. له رسالة في الأصول التي عليها مدار فروع الحنفية، شرح الجامع الصغير، وشرح الجامع الكبير. راجع: الزركلي، الأعلام ٤/ ١٩٣.

(٢) ابن الهيثم: محمد بن الحسن بن الهيثم، مهندس من أهل البصرة، يلقب ببطليموس الثاني. كانت حياته بين (٣٥٤ – نحو ٤٣٠ هـ)، له تصانيف في الهندسة. راجع: الزركلي، الأعلام ٦/ ٨٣.

(٣) عاصم: بن أبي النجود، أحد القراء الأئمة، ويقال له ابن بَهدلة، ويكنى أبا بكر، وهو من التابعين، وتوفي بالكوفة سنة ثمان وعشرين ومائة، رحمه الله تعالى. راجع: ابن الجزري تحبير التيسير في القراءات العشر ١/ ١٠٩، تحقيق: أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، عمَّان، ط الأولى ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م.

(٤) الكسائي: علي بن حمزة النحوي الكوفي، أحد القراء الأئمة، وقيل له الكسائي؛ لأنه أحرم في كساء، وتوفي بالري سنة تسع وثمانين ومائة، رحمه الله تعالى. راجع: ابن الجزري تحبير التيسير في القراءات العشر ١/ ١١١.

(٥) حمزة: بن حبيب بن عمارة الزيات الفرضي التيمي، الكوفي، أحد القراء الأئمة، ويكنى أبا عمارة، وتوفي بحلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٥٦هـ، رحمه الله تعالى. راجع: ابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر ١/ ١١٠.

(٦) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي الكندي. كانت حياته بين(٣٠٣ – ٣٥٤هـ) له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. ولد بكندة بالكوفة، ونشأ بالشام، ثم تنقل يطلب الأدب وأيام الناس. وقال الشعر صبياً. وتنبأ في بادية السماوة (بين الكوفة، والشام) فتبعه كثيرون، سجنه لؤلؤ . أمير حمص ونائب الإخشيد حتى رجع عن دعواه. أراد بغداد فالكوفة، قتله فاتك بن أبي جهل الأسدي بعد قتال بالنعمانية، راجع: الزركلي، الأعلام ١/١١٥.

(٧) البحتري: الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، يقال لشعره " سلاسل الذهب "، كانت حياته بين (٢٠٦ – ٢٨٤ هـ)، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام، والبحتري. قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان، وإنما الشاعر البحتري. ولد بمنبج (بين حلب والفرات)، ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلى الشام، وتوفي بمنبج. راجع: الزركلي، الأعلام ٨/ ١٢١.

(٨) أخرجه مسلم، كتاب الفتن، باب لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ، رقم:٧٤٥٤، انظر صحيح مسلم ٨/١٧٤.

لجمعها بين المتناقضات المختلفة من خير وشر، ونفع وضر. وفتن تغير الحال، ومباهج على غير شبيه، أو مثال.

الفَصلُ الثَّانِي:

تَوصِيفُ الفتن بين الماضي والحاضر،

وَينقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَبَاحِثَ:

المَبحَثُ الأَوَّلُ: أسباب الفتن وملابسات ظهورها.

للفتن أسباب إذا ما توفرت أطلت برأسها، وأضلت بشؤمها، وألقت بثقلها، وأظلت بعبئها، وأجهدت بعبئها، وتخللت الصفوف فاعوجت، وضعاف الإيمان فارتدت، وحركت الأزمات فاحتدت، ويمكن سرد أهم تلك الأسباب التي تأجج نارها وتشعل فتيلها، سواء أكانت فتن شبهات أم شهوات كما يلي:

١. المؤامرات والمكائد من الموتورين:

كم عانت الأمة الإسلامية من المجرمين والمفسدين، أعداء الإنسانية والمحبة والسلام، وكم من مؤامرة حيكت لها بظلام، ودبرت لعرقلة مسيرتها بليل؛ إشاعةً للفوضى بين ربوعها، ونشراً للخوف والرعب بين الناس، وانتقاماً من الفضائل وأهلها، كما حدث في غزوة الأحزاب من اليهود والمنافقين حينما تعاونوا مع المشركين على إبادة المسلمين والتخلص منهم، فحلَّت بالمسلمين شدَّة عظيمة وصفها الله . تعالى . بقوله:﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا *﴾[الأحزاب: ١٠، ١١]. وكذلك التآمر الآثم من المجوس الذي ظهر على يد أحد غادريهم ومجرميهم، هو أبو لؤلؤة المجوسي([1]) وقد باء بإثم مقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . وانكسر بمقتله باب الفتنة الذي كان يواريها ويحجزها عن الناس، وهذا ما يُبَيِّنُه الصحابي الجليل حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . عندما قَالَ: ((قَالَ عُمَرُ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . عَنِ الْفِتْنَةِ، قَالَ: قُلْتُ: أَنَا أَحْفَظُهُ، كَمَا قَالَ: قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ لَجَرِيءٌ فَكَيْفَ قَالَ؟ قُلْتُ: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْمَعْرُوفُ، قَالَ سُلَيْمَانُ([2]): قَدْ كَانَ يَقُولُ: الصَّلاَةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ: لَيْسَ هَذِهِ أُرِيدُ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، قَالَ: قُلْتُ: لَيْسَ عَلَيْكَ بِهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَأْسٌ، بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابٌ مُغْلَقٌ، قَالَ: فَيُكْسَرُ الْبَابُ، أَوْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ بَلْ يُكْسَرُ قَالَ: فَإِنَّهُ إِذَا كُسِرَ لَمْ يُغْلَقْ أَبَدًا، قَالَ: قُلْتُ: أَجَلْ فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ مَنِ الْبَابُ، فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ: سَلْهُ، قَالَ: فَسَأَلَهُ، فَقَالَ عُمَرُ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قَالَ: قُلْنَا: فَعَلِمَ عُمَرُ مَنْ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ كَمَا أَنَّ دُونَ غَدٍ لَيْلَةً، وَذَلِكَ أَنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ ([3]))([4]) وكذلك التآمر بإثارة الناس على سيدنا عثمان . رضي الله عنه . كلما نامت الفتنة أيقظها رؤوس الضلال ودعاة الفوضى، حتى انتهت بقتله . رضي الله عنه . وهاج الناس وماجوا، واضطربت أحوالهم واختلفت كلمتهم. ووصل الأمر إلى سيدنا علي . رضي الله عنه . الذي ما انفكت المعضلات تحل بساحته وتتعرض له من جراء ما يفتعله المفسدون من قتلة

---

(١) أبو لؤلؤة المجوسي: فيروز، غلام المغيرة بن شعبة، وكان من سبي نهاوند، يصنع الأرحاء. راجع: العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٣٣/١، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق ١٤٠٦هـ، بدون رقم الطبعة.

(٢) التابعي الجليل: سليمان بن مهران الأسدي، أبو محمد، الملقب بالأعمش. كانت حياته بين(٦١ – ١٤٨هـ) أصله من بلاد الري، ومنشأه ووفاته في الكوفة. كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض، يروي نحو ١٣٠٠حديث، قال الذهبي: كان رأساً في العلم النافع والعمل الصالح. وقال السخاوي: قيل: لم ير السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره، راجع: الزركلي، الأعلام ٣/ ١٣٥.

(٣) الأغاليط: جمع أغلوطة وهو ما يغالط به أي حدثته حديثا صدقا محققاً من حديث النبي . صلى الله عليه وسلم . لا عن اجتهاد ولا رأي، راجع: ابن حجر، فتح الباري٦/ ٦٠٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة تكفر الخطيئة، رقم: ١٣٦٨، انظر صحيح البخاري ٣/ ٥٢٠.

عثمان . رضي الله عنه . ومن عاونهم، حتى انتهى الأمر بمقتله([1]) غيلة . رضي الله عنه. ولا يخفى تدبير أهل الكفر والفساد؛ لإتمام هذه الاغتيالات، والقضاء على الإسلام بقتل هذه الشخصيات الفاضلة المؤثرة، والعبث بأمن البلاد واستقرار العباد، كما لا يخفى دور المجرمين في بلاد المسلمين بإشعال نار الفتن كل حين، وزرع بذور الكراهية والعداء بين أبناء البلاد الإسلامية المختلفة، بحيث لا يقبل أحد من أحد نقداً ولا توجيهاً، بل لقد وصل الأمر إلى أبناء البلد الواحد بين الجماعات المتعددة، والطوائف المختلفة من غير المسلمين التي تضمها ربوع الدولة الإسلامية، وكانوا كما قال تعالى:﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[المائدة: ٦٤].

٢. زرع العنصرية والتعصب:

إن وجود العنصرية بين المسلمين والمفاخرة بالأصول العرقية من أبرز أسباب الفتنة، وقد حاول المنافقون في عهد رسول الله . صلى الله عليه وسلم . غرس بذور ذلك بين الصحابة الأجلاء . رضي الله عنهم؛ ليقضي بعضهم على بعض، كما كان يحدث أيام الجاهلية، إلا أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وأد هذه الفتنة في مهدها، وأعاد الأمور إلى نصابها. عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قال: ((كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ . صلى الله عليه وسلم . فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ([2]) رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . « مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ. فَقَالَ: « دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ ». فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوهَا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ: « دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ »))([3]).

وقد حييت في هذه الأيام نعرات الجاهلية، ووُجِد لها الدعاة إليها، فكثيراً ما نسمع الافتخار بالألقاب، والأعراق المفرقة بين جموع العرب والمسلمين، كالفراعنة، والأتراك، والفرس، والعرب، ونحو ذلك، حينما يحتك بلدان مسلمان ببعضهما عن طريق مباريات الكرة، ونحوها؛ مما يهمل معه النسب الذي وصله الله . تعالى . ووصفه بالأخوة الإيمانية، وهي من أقوى الصلات التي يمكن أن تربط الناس ببعضهم، قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات: ١٠]، ومع دعوات الجاهلية هذه، تتقطع الوشائج، وتسعى كل جماعة إلى أصل تتفاخر به وتنتسب إليه، وتهجو ما عداه. وما يحدث بين أبناء البلد الواحد، قريب من ذلك، حيث تقسم الأقطار إلى شمال، وجنوب، وشرق وغرب، وكلٌّ يجِدُّ في وصف نفسه بالفضائل، والمكارم، ومعالي الأمور، ويتفنن في سلبها من الآخر، وهو ما يفسح المجال للفتن، ويعطي لها الفرصة أن تنهض وتقوم بين الناس.

٣. الجهل:

إن الجهل من أخطر الأسباب التي تفتك بالأفراد والأمم، وهو وقود تستمر به المشكلات والفتن. ومن المعروف أن الجاهلين أسرع إلى السقوط في الفتن والمفاسد من الفراش في النار؛ لأن أفئدتهم هواء، واعتمادهم في حلول المشكلات على خواء، أهل للخرافة والعناد، ووجودهم في طريق الناس كشوك القتاد. ولذلك قرن النبي الكريم بين قبض العلم وظهور الجهل، وبين الفتن، فقال صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا، يَنْزِلُ فِيهَا الجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا العِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الهَرْجُ، وَالهَرْجُ:

---

(١) قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي، غيلة، راجع: الزركلي٤/ ٢٩٦.

(٢) كسع: الكَسْعُ أَنْ تَضْرِبَ بيدك أَو برجلك بصدر قدمك على دبر إِنسان أَو شيء. لسان العرب ٨/ ٣٠٩.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآدب، باب نَصْرِ الأَخِ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، رقم: ٦٧٤٨، انظر: صحيح مسلم ٨/ ١٩.

القَتْلُ))([1]). والجهل كان سبباً لما وقع فيه الخوارج من الضلال والتخبط، ففتحوا على المسلمين من أبواب الفتن ما الله به عليم، وذلك لقلة علمهم، وزيادة جهلهم الناتج عن عدم تفقههم في الدين؛ وقد كان مما وصفهم به النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . « يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي القِدْحِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَتَمَارَى فِي الفُوقِ([2])»([3]). فمن لم يعرف الهدى كيف يطلبه؟! ومن ضل الطريق كيف يسلكه؟!، فازدياد الجهل، ووجود أهله نذير شؤم على المحيطين بهم؛ إذ إنه يعطل المسيرة بأكملها، فلا ترى الجاهل يتقدم، مهما ازدادت حركته، فيجهد نفسه وأهله من غير فائدة تذكر، ولا فعل يشكر؛ والجهل بهذا المعنى غطاء للمفاسد، واستمرار للاضطراب، فكم من الفتن أوشكت أن تخمد، فينفخ الجاهلون في دخانها مرة أخرى، حتى يشعلوها، وفي حطامها حتى يعيدوها.

٤. الظلم.

من أسباب اندلاع الفتن بين الناس واستمرارها في حياتهم، الظلم الواقع بينهم؛ إذ الحرمان من بعض الحقوق، أو سلبها بالكلية يولد كبتاً داخل النفس البشرية يزداد بازدياد الظلم حتى ينفجر عن فتنة صماء، وتحركات عرجاء، وتصرفات هوجاء، لا ترى أمامها العواقب، فتدوس على القيم، وتبعثر في وجهها المنتظم، ((والظلم يشتمل على معصيتين: أخذ مال الغير بغير حق، ومبارزة الرب بالمخالفة. والمعصية فيه أشد من غيرها؛ لأنه لا يقع غالباً إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار، وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب؛ لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم، حيث لا يغني عنه ظلمه شيئاً))([4]). والظلم يكون في الناس من الإنسان لنفسه، ولغيره، وهذا الغير إما أن يكون مساوياً له، أو أعلى درجة منه، أو أقل منه منزلة، ويمكن تفصيل ذلك فيما يلي:

أ. ظلم الإنسان نفسه:

ويكون بالشرك، وبتعدي حدود الله . تعالى . والإسراف في اقتراف الذنوب والمعاصي. فعن وصف الشرك بالظلم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: ١٣]، وعن بيان أن عموم الذنوب والمعاصي من الظلم، قال تعالى:﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾[الطلاق: ١]، ولاشك أن هذا الظلم البين للنفس يجرجر الإنسان إلى الفتن التي تهلكه بسبب ظلمه لنفسه، مصداقاً لقوله تعالى:﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيب ﴾[هود:١٠١].

ب . ظلم الإنسان للمساوي له:

وهذا النوع من أشد أنواع الظلم على النفس؛ إذ تكون عند ذلك مقهورة، تحاول ردَّ الظلم على من ظلمها، وهكذا يعيش الناس في صراع دائم، وإضمار للسوء، مع تبادل الطرفين الأدوار، ونتيجة ذلك هي العداوة والبغضاء، ووجود الفتن والمتاعب بين الناس، والانشغال بردِّ الفتن ودفعها، وهذه الصورة تقع بين الأفراد، كما تقع بين العائلات والقبائل، وينتج عنها كثير من القتلى كالذي يكون في قضايا الثأر؛ لذا كان تحريم الله تعالى للظلم والاعتداء واضحاً وصريحاً، فعَنِ النَّبِيِّ . صلى الله عليه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، رقم: ٦٦٥٣، انظر صحيح البخاري ٦/ ٢٥٩٠.

(٢) النصل: حديدة السهم. والقدح بكسر القاف أي: أصل السهم وعوده. والريش: أي ريش السهم المركب عليه.

والفوق منه: الفوق بالضم موضع الوتر من السهم. راجع: ابن بطال، شرح صحيح البخاري ٨/ ٥٩٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن، رقم: ٤٧٧١، انظر صحيح البخاري ٤/ ١٩٢٧.

(٤) ابن حجر، فتح الباري ٥/١٠٠.

وسلم . فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا))(١).

ج . ظلم الأعلى للأدنى:

ولا أقصد علو الرتبة، أو ضعتها، وإنما أقصد بذلك القوة، والضعف، والغنى، والفقر، والقدرة والعجز. وهي من صور الظلم القبيحة التي ترسخ معنى الاستعلاء والكبر في نفس الظالم، وتغرس المهانة والذل في نفس المظلوم، وأوضح صورة يمكن أن تبين هذا النوع من الظلم، هي تلك الصورة التي تجسد حال الحاكم الظالم مع المحكوم. وحينئذ فإن فتناً عظيمة تحلُّ بالأمة؛ إذ إن جماهير الناس قد تهب لنصرة نفسها، وتخليص رقابها، ودفع الظلم الذي وقع عليها؛ لتتنفس هواء الحرية، فيحدث الصدام بين قوتين غير متكافئتين، وتصبح الخسائر الفادحة في الجانب الأضعف.

ومثال ذلك: ما كان بين يزيد بن معاوية، مع الحسين بن علي . رضي الله عنه . وقد انتهى الأمر بقتل الحسين . رضي الله عنه وكذلك من الصور المؤلمة المفزعة لظلم الراعين وفظاظته وسوء معاملته، على من يتولى أمورهم، ما جرى على يد الحجاج بن يوسف الثقفي(٢)، من فظائع كثيرة مروعة، لعل منها ما فعله مع سعيد بن جبير(٣) . رحمه الله تعالى، وغيره من الناس . ورسول الله . صلى الله عليه وسلم . يخوف من انتقام الله . تعالى . الشديد، عند وقوع الظلم على الناس، عن أبي موسى الأشعري . رضي الله عنه . قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ . صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهْيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[هود: ١٠٢]))(٤).

د . ظلم الأدنى للأعلى:

ويكون من المحكوم للحاكم والرعية لراعيها، ومن ذلك: ما حدث من الثوار الذين خرجوا على سيدنا عثمان بن عفان . رضي الله عنه . وانتهى الأمر بقتله. وكذلك ما حدث من خذلان الناس لسيدنا علي . رضي الله عنه . في أكثر من موقف، وتخليهم عنه، حتى انتهى الأمر بقتله، وفي زعمي أن معركة صفين تجسيد لهذا المعنى المكروه من ظلم الرعية لراعيها. وعند وقوع الراعي في ظلم الرعية، أو العكس . وقوع الرعية في ظلم الراعي . فإن الفتنة عندئذ تطل برأسها، ويعم بأسها، وتأكل

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم: ٢٥٧٧، انظر صحيح مسلم ٤/ ١٩٩٤.

(٢) الحجاج: بن يوسف بن الحكم الثقفي، قائد، داهية، سفاك، خطيب. كانت حياته بين(٤٠ – ٩٥ هـ)، ولد ونشأ في الطائف، وانتقل إلى الشام، قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فقتله، وفرق جموعه، فولّاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق، والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى بغداد، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة. وبنى مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة) وكان سفاكاً سفاحاً. ومع ذلك فإنه أول من ضرب درهماً عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وأول من بنى مدينة بعد الصحابة في الإسلام، وأن امرأة مسلمة سبيت في الهند فنادت يا حجاجاه، فأنفق سبعة آلاف درهم حتى أنقذ المرأة، مات بواسط، وأجري على قبره الماء، فاندرس، راجع: الزركلي، الأعلام ٢/ ١٦٨.

(٣) سعيد بن جبير: الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله، أعلم التابعين، كانت حياته(٤٥ – ٩٥ هـ). وهو حبشي الأصل. أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر. وكان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيداً. ولما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، على عبد الملك بن مروان، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن، فذهب سعيد إلى مكة، فقبض عليه واليها (خالد القسري)، وأرسله إلى الحجاج، فقتله بواسط. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه. راجع: الزركلي، الأعلام ٣/ ٩٣.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قَوْلِهِ {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}، رقم: ٤٤٠٩، انظر صحيح البخاري ٤/ ١٧٢٦.

الأخضر واليابس، وتأخذ الكبير والصغير، فلا تنتقي حينئذ من تأخذ ومن تدع، قال تعالى موضحاً هذا المعنى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[الأنفال: ٢٥].

٥ . النفاق والتلون.

والنفاق مرض قلبي، وفساد أَخلَاقِيّ، يُبطِن الإنسان معه غَير مَا يظهر، ويُسرُّ خلاف ما يَجهر، ولا يُقصَدُ بالنِّفَاق العَقدِيُّ فَقَط، بَل والأَخلَاقيُّ أَيضَاً، فقد يكون الإنسان مسلماً بعيداً عن إبطان الكفر، لكنَّه مُنافقٌ في الشدائد، فإن أصابته مضرة أظهر رفضه وأنكر، وإن عوفي رضي وغض الطرف وأدبر، فالأمر بالنسبة له ليس معروفاً ولا منكراً، وإنما مصلحة شخصية، وأطماع، ونفعية. ومَا وُجِدَ المنافق في مكان إلَّا ونبت الفساد، وطغى العدوان، وَترسّخت العداوة والبغضاء، وَأَقبَلَت عندئذ الفتن، وكثرت على الناس المحن، عَن ابن عمر . رضي الله عنهما . عن النَّبِيِّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ:((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: لَقَدْ خَلَقْتُ خَلْقًا أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ، فَبِي حَلَفْتُ لَأُتِيحَنَّهُمْ فِتْنَةً، تَدَعُ الحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا، فَبِي يَغْتَرُّونَ، أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ))([1])؛ لِذَا كَانَ جَزَاءُ المُنَافِقِينَ الدَّرَكَ الأَسفَلَ فِي النَّارِ، وَالمُقَامَ الأَرذَلَ دون الكفار، وَسَاءَ ذلك مَصِيرَاً، يَقُولُ الله تَعَالَى:﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[النساء: ١٤٥].

٦. مخالفة الشرع الحنيف.

إن كل بلية حدثت، أو يمكن أن تحدث في مجتمعات المسلمين، فتبعثر صف وحدتهم، أو تضعف قوة تجمعهم، أو تثير الفوضى بين جموعهم، إنما تمتد بسبب إلى مخالفة شرعة الله . تعالى . وتتولد بالإعراض عن مقاصدها، وإهمال مضامينها، أو استبدالها بما يبتدعه الناس من نظم يضاهئون بها أحكام الله وتعاليمه. وإن هذه المخالفة مرتبط وجودها بحلول الفتنة، قال الله تعالى:﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣]. والمعنى: ((فليحذر وليخْشَ من خالف شريعة الرسول، باطنًا، أو ظاهرًا " أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ " في قلوبهم، من كفر، أو نفاق، أو بدعة، " أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" في الدنيا، بقتل، أو حَد، أو حبس، أو نحو ذلك))([2]). ولقد ورد ((عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ([3])، قَالَ: " سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! مِنْ أَيْنَ أُحْرِمُ؟ قَالَ: مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، مِنْ حَيْثُ أَحْرَمَ رَسُولُ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُحْرِمَ مِنَ الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ، قَالَ: فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُحْرِمَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْ عِنْدِ الْقَبْرِ، قَالَ: لَا تَفْعَلْ؛ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ الْفِتْنَةَ، فَقَالَ: وَأَيُّ فِتْنَةٍ هَذِهِ؟! إِنَّمَا هِيَ أَمْيَالٌ أَزِيدُهَا، قَالَ: وَأَيُّ فِتْنَةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَرَى أَنَّكَ سَبَقْتَ إِلَى فَضِيلَةٍ، قَصَّرَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣]))([4]). ولعل الوقوع في فتن المال والولد والنساء، يكون بسبب الإعراض عن تعاليم الدين وشريعته في التعامل معها.

٧. اختلال الموازين الأخلاقية.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، رقم: ٢٤٠٥، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ،لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ ٤/ ١٨٢.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٦/ ٩٠، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية١٤٢٠هـ.

(٣) الزبير بن بكار: بن عبد الله القرشي الأسدي المكي، كانت حياته بين (١٧٢ – ٢٥٦هـ) من أحفاد الزبير بن العوام، عالم بالأنساب وأخبار العرب، ولد في المدينة، وولي قضاء مكة فتوفي فيها. من تصانيفه: (أخبار العرب، وأيامها) و(جمهرة نسب قريش) و(الأوس والخزرج)، وله مجموع في الأخبار ونوادر التاريخ، سماه (المُوَفَّقِيات). راجع: الزركلي، الأعلام ٣/ ٤٢.

(٤) الشاطبي، الاعتصام ١/ ١٣١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر بدون بيانات أخرى.

عند اختلال الموازين الأخلاقية المنبثقة عن المقاييس الشرعية، فإن الناس يصبحون أوعية بلا معنى، وأجساداً تحركها الشهوات، وعقولاً تملؤها الشبهات، فلا ترى الناس يسعون إلى نيل قيمة، أو المحافظة على مبدأ، أو تدارك فضيلة، أو الفرار من رذيلة، بل تصبح المتناقضات في نظرهم سواء، فلا يبالي المرء على أيها وقع، ولا يشغله كثيراً أحسن في صنعه أم أساء، وذلك يكون عند قلة الفقهاء، وكثرة القراء، ووجود المال الكثير بين أيدي السفهاء، عندئذ تصبح أمور الناس فوضى، وحياتهم مضطربة، فاجتماعهم يومئذ تآمر، وتفرقهم بعده تدابر، وتحركاتهم فتن، وقعودهم محن، وهي نتيجة طبيعية لاختلال الموازين الأخلاقية.

وقد بَّين هذا المعنى سيدنا عَبْدُ اللهِ بن مسعود حينما قال: ((كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَتْ، قَالُوا: غُيِّرَتِ السُّنَّةُ؟ قِيلَ: مَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: إِذَا كَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أَمْوَالُكُمْ، وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ))([1]).

٨. زيغ القلوب والخوض في المتشابه من القرآن الكريم:

إن أهل الزيغ والضلال يسعون دائماً إلى إرباك المشهد، والعبث بالثوابت، والكلام عن المسكوت عنه، والتعصب للمختلف فيه من القضايا، والبحث عن المتشابه من آيات القرآن الكريم، لا سعياً للوقوف على الحكمة؛ وإنما طلباً للفتن، والفوضى، يقول عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾[آل عمران: ٧]، فقد جعل سبحانه اتباع المتشابه من شأن أهل الزيغ والابتداع؛ تتبعاً لما لا يُمكِنُهم علمه، مما استأثر الله . عز وجل . به، أو خص بعلمه أولي النهى والألباب من البصراء بدين الله.

٩. التقليد والمحاكاة بلا فهم:

إنَّ التَقلِيد يسهم بصورة واضحة في إحياء الفتن الدفينة، وتحريك الخامد منها، واستبقاء شرارتها متوقدة، أو في أحسن الأحوال ترك ما انبعث منها دون تصدى له. فالمقلد يحاكي ما يرى من غيره دون وعي، فلو كان يقلد رأساً في الفتن فهو على دربه يسير وبمنواله ينسج، وإن كان واحداً من الدهماء فهو يموج معهم ويمشي بخطواتهم، وإن شذ عن أقرانه توقف لا يستطيع أن يتحرك يميناً، أو يساراً، فيزيد سواد أهل الفتنة المصطفين لها؛ إذ إنه لا يعرف طريقاً للخروج منها إلا إذا أخرجه من يقوده ويوجهه.

لذا كان نكير القرآن الكريم على من يلتزم خطوات السابقين دون إعمال للفكر ونظر في عواقب الأمور. قال تعالى في وصف المنكرين للبعث: ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ ﴾[المؤمنون: ٨١]، وقال سبحانه: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[الزخرف: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾[البقرة: ١٧٠].

وينبغي أن نفرق بين التأسي بالصالحين، وبين التقليد الأعمى الذي من صوره اتخاذ شخصيات ورموز منحرفة في سلوكها، مثلاً يقلدها الموتورون، فالإنسان شديد المحاكاة والتأثر بالغير، ومن الأمثلة على ذلك: ما نراه هذه الأيام من تقليد أعمى من قبل بعض الهائجين الذين يخرجون بدعوى الإصلاح، وهم في الحقيقة يقومون بأعمال التخريب والفوضى، مقلدين غيرهم، الأمر الذي يؤدى إلى اشتعال الفتنة واستمرار أوارها.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك رقم: ٨٥٧٠ ، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم، المستدرك ٤/٥٦٠.

١٠. التّجَمْهُر والتّظَاهُر لكل حادثة:

من أسباب وقوع الفتن واشتعالها، التَّجمهُر، وهو مصطلح مأخوذ مِن((تجمهر، وتَجمْهَرَ عليهِ: تَطاوَلَ، والنّاسُ اجتمَعُوا))([1]). ويقصد به تجمع الناس بأعداد ملحوظة، للقيام بأمر ما، أو توصيل معنى ما.

وأما ((التّظَاهُرُ: تكلفُ المُظاهَرَة، كأنَّهُ استنادُ ظهرٍ إلى ظهرٍ))([2]).

والمُظاهرةُ: ((إعلانُ رأيٍ، أو إظهارُ عاطفةٍ فِي صورةٍ جماعيةٍ))([3]). وقد استَعمل المُحدَثُون المُظاهَرة بمَعنى إعلان هذا الرأي، أو إظهارِ عاطفة في صورة جماعية، والعربُ يستعملونها بمعنى العونِ من الظهرِ كالمساعدةِ من السّاعدِ، والمعاضَدَةِ من العَضُدِ، والمُكَاتَفَةِ من الكَتِفِ. والأقربُ إلى المعنى الحديثِ، تَظاهرُوا تظاهُرَاً؛ فقدْ قَالوا: تَظَاهَرَ فلانٌ بالشيءِ أظهَرَهُ. والتّجمهُرُ مَألُوفٌ للنَّاس عِند الحَوادث والمُلمَّاتِ، وعند الحَيلولة دُون الوُقوع في الفَواحِش والمُنكرات. ومن ذلك النوع ما حدث مع سيدنا عثمان . رضي الله عنه . وقد سبقت الإشارة إليه بأنه أحد أنواع ظلم الرعية للراعي. والتجمهر أو التظاهر من دواعي الفتن واستمرارها؛ فهو يفتح الطريق لاندساس المغرضين الذين يجتهدون في بقاء الفتن كلما لاح في الأفق استقرار الأحوال وهدوء الناس.

١١ . الخُرُوج عَلَى حَاكم البلاد:

الخُروجُ عَلى الحَاكم بمَعنِي: ((الثورةُ المسلَّحةُ عليهِ فِي المُجتمعَاتِ الإسلَامية بُغيةَ خَلعِهِ عَن الحُكمِ بالقوّةِ بعدَ استتبَابِ الأمرِ لَهُ))([4]). وسواء كان الخروج مبرراً شرعاً أم لا، عدلاً كان أم ظلماً، فإن الفتنة تعمّ آنذاك، وتتداخل الشعارات، وتختلط الأوراق، وتشتد الأزمات على الناس، من له غرض، أو من شملته الفتنة . كالخروج على الخليفة الراشد عثمان بن عفان . رضي الله عنه . عام ٣٥هـ، التي سميّت بالفتنة([5])، وقد أدت إلى اغتيال سيدنا عثمان . رضي الله عنه . وانقسام المسلمين شيعاً وفرقاً. كما عرف التاريخ الإسلامي ثورات وحركات تمرّد أخرى، أبرزها ثورة زيد بن علي بن الحسين بن علي([6]) ضد الحكم الأموي([7]).

---

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ١/ ١٣٧، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

(٢) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف ١/ ١٨٣، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، ط الأولى١٤١٠هـ.

(٣) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ٢/ ٥٧٨.

(٤) جمال الحسيني أبو فرحة، الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي، ص١٢، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط الأولى٢٠٠٤م.

(٥) راجع: ابن كثير، البداية والنهاية ٦/ ٢٣٠.

(٦) زيد بن علي بن أبي طالب، كانت حياته بين (٧٩ – ١٢٢هـ) العلوي الهاشمي. يقال له (زيد الشهيد) ضيق عليه هشام بن عبد الملك، وحبسه، ثم عاد إلى العراق ثم إلى المدينة، فلحق به بعض أهل الكوفة يحرضونه على قتال الأمويين، ورجعوا به سنة ١٢٠هـ، قُتل زيد، في الكوفة، وحُمل رأسه إلى الشام فنُصب على باب دمشق. ثم أُرسل إلى المدينة فنُصب عند قبر النبي . صلى الله عليه وسلم . يوما وليلة، وحمل إلى مصر فنصب بالجامع، فسرقه أهل مصر ودفنوه، راجع الزركلي، الأعلام ٣/ ٥٩.

(٧) راجع: ابن كثير، البداية والنهاية ٩/ ٣٢٩.

وكذلِكَ كان الأمر مع ((الذينَ خرجُوا عَلَى يَزيدِ بن معاوية بالمدينةِ، وكابنِ الأشعَثِ([1]) الذِي خرَجَ علَى الخليفة الأموي عبدِ المَلكِ([2]) بالعِراقِ. وكالذين خَرَجُوا علَى المَنصورِ([3]) بالمدينةِ والبَصرةِ، وأَمثالِ هؤلاءِ وغَايةُ هؤلاءِ إمَّا أنْ يَغلِبوا، وإمّا أنْ يُغلَبُوا، ثمّ يَزولُ مُلكُهُم فلا يَكونُ لهُم عَاقبةٌ))([4]).

وكذلك ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن([5]) الملقب بالنفس الزكية، ضد الحكم العباسي([6])،حيث أعلن خروجه في المدينة المنورة عام ١٤٥هـ وبايعه الناس وبدأ بإرسال ولاته إلى الأمصار، إلى أن جرت المواجهة العسكرية مع الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور وانتهت بمقتله وسيطرة العباسيين على المدينة.

وكما حَدث فِي لِيبيا عام ٢٠١١م، عِندمَا خَرج أهلُهَا عَلى حاكمهم . القَذَّافي . وانتَهَى خروجهم المُسلّح عَليه بقتله، واضطربت البلاد اضطراباً شديداً ماجت فيه سنوات كثيرة، وما زالت حتى هذه الأيام ٢٠١٧م. وكما حدث في سوريا منذ عام ٢٠١١م، وما زالت أحداثها الطاحنة تدور بين أهلها، حتى تاريخ كتابة هذه الكلمات (٢٠١٧م) حيث اصطدم الجيش النظامي بمن خرج ضد الحاكم، وتقاتل الفريقان وقد تساقط الآلاف من المسلمين صرعى من جراء الآلات الحديثة المستخدمة، وتناثرت جثث القتلى وأشلاؤهم على الأرض وأصبحوا كأنهم أعجاز نخل خاوية، وما زالت رحى القتال تدور والصرعى يتساقطون من الجانبين كل حين، بخلاف المشردين، والمهجَّرين، واللاجئين في شتى بلاد الأرض. ومثل هذا كله يتسبب في فتن ومحن بالناس وشدائد لا تخفي على كل ذي عينين. ولا يُقاسُ ما حَدَثَ . فِي عَهدِ الحُسينِ بنِ عليٍّ . رضي الله عنهما . بمَا يَحدثُ فِي أَيامِنَا هَذهِ؛ إيجاداً لمَخرجٍ شَرعيٍ فِي أزمَاتِ شقِّ عَصا الطَّاعةِ وخَلعِ الإمَامِ، والسعي للاستيلاء على كرسي الحكم، مهما سفكت الدماء،

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، من القادة الدهاة. لم يعرف عام ولادته، قتل ٨٥هـ، سيره الحجاج بجيش لغزو بلاد " رتبيل " ـ ملك الترك. فغزا بعضها وتوقف، فتوعده الحجاج، فنبذ عبد الرحمن ومن معه طاعة الحجاج، وعبد الملك بن مروان أيضاً. ونشبت بينهما معارك، ظفر فيها عبد الرحمن، ثم قصده الحجاج، وأخرجه من الكوفة، فلجأ إلى (رتبيل) فحماه مدة، ثم قتله، وبعث برأسه إلى الحجاج. فأرسله هذا إلى عبد الملك بالشام. انظر: الأعلام، الزركلي٣/ ٣٢٣، ٣٢٤.

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، من الخلفاء الدهاة، كانت حياته بين(٢٦ – ٨٦هـ) نشأ في المدينة، فقيهاً واسع العلم، استعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة. تولى الخلافة بعد أبيه سنة ٦٥هـ، نقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وضبطت الحروف بالنقط والحركات. أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم. وكان يقال: معاوية للحلم، وعبد الملك للحزم. توفي في دمشق. راجع الزركلي، الأعلام ٤/ ١٦٤، ١٦٥.

(٣) المنصور العباسي: عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر المنصور، كانت حياته بين (٩٥ ـ ١٥٨هـ)، كان شغوفاً بالعلم ، محباً للعلماء، شجاعاً، ولي الخلافة بعد أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ. وهو باني مدينة " بغداد "و غيرها ، وصاحب زيادة في المسجد الحرام. قتل كثيراً حتى استقام ملكه. توفي ببئر ميمون في مكة وكان محرماً بالحج. ودفن بالحجون ومدة خلافته ٢٢ عاماً. يؤخذ عليه قتله لأبي مسلم الخراساني (سنة ١٣٧هـ). انظر: الأعلام، الزركلي ٤/ ١١٧.

(٤) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية٤/ ٣١٣: ٣١٥، تحقيق: محمد رشاد، مؤسسة قرطبة، ط الأولى، بدون ذكر سنة الطبع.

(٥) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، لُقب: بالنفس الزكية، كانت حياته بين: (٩٣ – ١٤٥هـ) نشأ بالمدينة. لما بدأ الانحلال في دولة بني أمية بالشام، بايعه رجال من بني هاشم بالمدينة سراً، وقامت دولة العباسيين، فتخلف هو وأخوه عن الوفود على السفاح، ثم على المنصور الذي انتدب لقتاله ولي عهده عيسى بن موسى العباسي، فسار إليه، وقتله في المدينة راجع الزركلي، الأعلام ٦/ ٢٢٠.

(٦) راجع: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ١/ ٤٥عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

وشردت الناس؛ إذ ((إنَّ خُروجَ الحُسينِ بنِ عليٍ . رضيَ اللهُ عنهُمَا. عَلَى، يزيدِ بنِ معاويةَ، ليس خُروجَاً عَلى حاكمٍ ثبتَت رِياستُهُ، وتأكدت شرعيته، بمبايعةٍ كلِ الأمةِ لُه، فكثيرٌ مِنَ المُسلمينَ لَم يَكونُوا قَد سلَّمُوا لَهُ بِالخلافةِ بعدُ، ومُعظمُ مَن سلَّمَهَا لَهُ، إنّمَا سلَّمَهَا خَوفاً، أو طَمَعاً، ومعلومٌ أنّ بيعةَ المُكرَهِ بَاطِلَةٌ))([1]). إنما يمكن وصف الحالة على وجه العموم باعتبارها فتنة حلَّت ببلاد المسلمين.

١٢. عدم القدرة على استيعاب الحدث، والحديث.

مخاطبة الناس بالأسلوب الذي لا يستطيعون إدراكه يثير في النفس أوهاماً، ويشوش الفكر على السامع ولا يتبين الحق من الباطل، وينصرف وقد أربكه الخطاب الذي لم يفهم منه شيئاً وقد يستخلص منه نتائج ويقرر من ورائه تنفيذ أمور تغير وجهته في الحياة، وتؤثر على تصرفاته وأفعاله، وبالطبع على تصرفات غيره وأفعاله، وأحواله، وإن كان ذا شأن، فإن تصرفه قد يؤثر في المجتمع بأثره؛ لذا كان النبي الكريم يكرر كلامه ثلاثاً ليطمئن إلى وصول المعنى المراد بالشكل المطلوب، وحتى يتيح الفرصة للسامع أن يستفسر عما لم يستطع استيعابه، أو يلتبس عليه. عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه((أَنّ رَسُولَ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ، تَكَلَّمَ ثَلاثًا؛ لِكَيْ يُفْهَمَ عَنْهُ))([2]). وهذا ما فهمه سيدنا عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . خوفاً من وقوع الفتن، حيث قال: ((مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لاَ تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلاَّ كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً))([3]).

١٣. دناءة النفس وترك تهذيبها:

ترك النفس بدون تهذيب يجعلها تتوحش تاركة خلفها كل قيمة، معرضة عن كل فضيلة، صامَّة آذنها عن نداء الشرع لتهذيبه والعمل على الارتقاء بها، فإن فعل الإنسان ذلك وقع في المحظور وأحاطت به الفتن من كل جانب، واستمر في التلبس بها غير مكترث بآثارها، على الأخص شهوات النفس وغرائزها التي تسعى للحصول عليها والاستكثار منها، وهي المال والنساء والولد، إضافة إلى الشبهات التي تحتاج إلى علم نافع يقوم على منهج واضح يفتقده صاحب النفس المهملة.

هذه هي أهم الأسباب التي تؤدي بالإنسان إلى الفتن، وتوقعه في شراكها.

---

(١) جمال الحسيني أبو فرحة، الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي، ص٨٧، بتصرف يسير.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: ٨٠٢٠، انظر: المعجم الكبير٧/٣٣١، وقال الهيثمي: إسناده حسن، انظر: مجمع الزوائد ١/ ١٥٥.

(٣) أخرجه مسلم في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، رقم: ١٤، انظر: صحيح مسلم ١/ ١٠.

المَبحَثُ الثَّانِي:

أَنواع الفتن، وألوانها.

تنقسم الفتن حسب أقوال العلماء المستفادة من النصوص الشرعية إلى قسمين:

الأول: خاص، وهو ما يتعلق بفتنة الرجل في أهله، وماله، وولده.

الثاني: عام، وهو ما يتعلق بالفتن التي تموج موج البحر، وتُظل عموم الناس، ويكون لها دعاتها، وعن هذا النوع يدور مقصود أغلب البحث.

وقد نظر ابن القيم ـ رحمه الله ـ نظرة مختلفة، حينما قسَّم الفتن بالنسبة لما ينفعل به الإنسان ويتكون لديه من قناعات، وتفرزه شخصيته من سلوكيات، فقال: ((الفتنة نوعان: فتنة الشبهات: وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بأحدهما))(١).

وأخطر الفتنتين هي: فتنة الشبهات تلك التي عصفت بكثير من الفرق فانحرفت، وأزاحتها بقدر انحرافها عن الصراط المستقيم فاختلفت، كالخوارج، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، وغيرهم. وفتنة الشبهات هذه تنتج عن ضعف البصيرة، وقلة العلم، وتمكن الكبر، والإعجاب بالنفس والرأي، والإغراق في الابتداع، ومثالها فتنة التفرق، والاختلاف، والقتال.

وأما فتنة الشهوات: فهي نابعة من داخل الإنسان، تتحكم فيها غرائزه، وتنتج عن ضعف الإيمان، وعدم تمالك النفس أمام المغريات، وقلة الصبر عن المعاصي، كفتنة المال، والنساء.

ويمكن اعتبار فتن الشبهات هي الفتن العامة، وفتن الشهوات هي الفتن الخاصة. وتفصيل ذلك كما يلي:

أولاً: فتنة الشبهات، يمكن توضيحها من خلال ما يندرج تحتها مما يلي:

١. فتنة الاختلاف والتفرق.

لقد دبَّ الخلاف في أوصال الأمة الإسلامية، ووقع بين كثير من أفرادها في الشعب الواحد، وكذلك بين كثير من شعوبها وحكوماتها، وظهرت الأزمات بين قادة الدول الإسلامية، وكذلك بين علمائها، وعوامّها، مما يبعث على الأسى والحزن، وقد نتج عن هذا الواقع الأليم ـ في كثير من الأماكن ـ جمع من الأقوام المتباغضة المتناحرة، فجنت الأمة الهوان، وتجرعت كأس الضعف والخسران؛ لذا كانت دعوة القرآن الكريم إلى الوحدة والاتحاد؛ ردًّا للمتدابرين، وجمعاً للمتفرقين، وإصلاحاً بين المتخاصمين؛ حتى لا تعم الفتن فيهلكوا، قال تعالى:﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾[آل عمران: ١٠٣]، كما نهاهم عن الفرقة والشتات حتى لا يصيبهم عذاب الآخرة، قال الله تعالى:﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[آل عمران: ١٠٥].

وكان النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحذر أمته من الفرقة والاختلاف، ويحثهم على الاجتماع والائتلاف، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: ((سَمِعْتُ رَجُلاً قَرَأَ، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَقْرَأُ خِلاَفَهَا فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ، وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا))(٢) ، وإن كان سبب ورود هذا الحديث، الاختلاف في القراءة، فإن عموم توجيهه إلى ترك الاختلاف فيما يضر ويجلب العداوة والشر. ولخطورة الاختلاف فقد تجنبه الصحابة الكرام قدر طاقتهم؛ خوفاً من الفتن وما ينجم عنها من محن، فعندما أتمَّ سيدنا عثمان بن

---

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان ٢/ ١٦٥، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الخصومات، باب في الإشخاص والملازمة والخصومة، رقم: ٢٢٧٩، صحيح البخاري ٢/ ٨٤٩.

عفان . رضي الله عنه . الصلاة بمِنَى أربع ركعات([1]) . وكان النبي . صلى الله عليه وسلم . قد قصر الصلاة فيها، وأبو بكر وعمر . رضي الله عنهما . ولمَّا سمع ابن مسعود . رضي الله عنه . بذلك ((اسْتَرْجَعَ، ثُمَّ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . بِمِنى رَكْعَتَيْنِ، فَلَيْتَ حَظِّي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ، رَكْعَتَانِ مُتَقَبَّلَتَانِ))([2]). وفي رواية أنه: ((صَلَّى أَرْبَعًا، فَقِيلَ لَهُ: عِبتَ عَلَى عُثمَانَ، ثُمَّ صَلَّيتَ أَرْبَعًا، قَالَ: الخِلافُ شَرُ))([3]). ومما تجدر الإشارة إليه أن ثمة فروقاً بين الافتراق والاختلاف من جهة، وبين الخلاف من جهة أخرى، بيانها فيما يلي:

أ . أن الافتراق أشد أنواع الخلاف، فالافتراق خلاف وزيادة، لكن ليس كل خلاف افتراقاً.

ب . أن الافتراق لا يكون إلا على أصول كبرى، لا يسع الخلاف فيها، والتي تثبت بنص قاطع، أو بإجماع، أو استقرت منهجاً علمياً لأهل الإسلام لا يختلفون عليه، فما كان كذلك فهو أصل، من خالف فيه فهو مفترق، أما ما دون ذلك فإنه يكون من باب الخلاف، مما يقبل التعدد في الرأي والاجتهاد، وتكون له مسوغات عند القائل به، أو يُحتمل فيه الجهل والإكراه والتأويل، وذلك في أمور فرعية، وقد تكون في بعض مسائل العقيدة التي يتفق على أصولها، ويختلف على جزئياتها، كإجماع الأئمة على وقوع الإسراء والمعراج، وتنازعهم في رؤية النبي . صلى الله عليه وسلم . لربه ساعتها هل كانت عينية، أو قلبية؟

ج . قد يكون الخلاف عن اجتهاد، وعن حسن نية، ويُؤجر عليه المخطئ ما دام متحرياً للحق، بينما الاختلاف والافتراق لا يكون عن اجتهاد، ولا عن حُسن نية، وصاحبه مذموم وآثم على كل حال.

د . يرتبط الاختلاف والافتراق بالوعيد، أما الخلاف فليس كذلك، مهما بلغ الخلاف بين المسلمين في أمور يسع فيها الاجتهاد، أو يكون هناك مُسَوِّغٌ له، أو عن جهل بالدليل ولم تقم عليه الحجة، أو عن إكراه يعذر به، أو عن تأويل إرتآه، ولا يتبين ذلك إلاَّ بعد إقامة الحجة عليه ومناقشته فيما ذهب إليه.

ومن أمثلة الفتن التي وقعت بسبب الافتراق:

((الفتنة التي وقعت بين السنة والشيعة، سنة ٤٤٣هـ، وسببها: أن أهل الكرخ . محلة ببغداد فيها الشيعة . عملوا أبراجاً كتبوا عليها بالذهب: محمد، وعلي خير البشر، وأنكر أهل السنة هذا، ثم حصلت أمور أدَّت إلى قتال ونهب بسبب مقتل هاشمي من أهل السنة، فقصد الناس المشهد ونهبوا ما فيه، وأضرموا حريقاً أتى على كثير من قبور الأئمة، فقصد الشيعة إلى خان الفقهاء الحنفيين فنهبوه، وأحرقوا الخان ودور الفقهاء))([4]).

---

(١) المنقول في ذلك: أن إتمام عثمان . رضي الله عنه . لأنه كان يرى القصر مختصاً بمن كان شاخصاً سائراً، وأما من أقام في مكان أثناء سفره، فله حكم المقيم فيتم، وقيل: إنما صلى عثمان أربعاً؛ لأن الأعراب كثروا في ذلك العام، فأحب أن يعلمهم أن الصلاة أربع، راجع: الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٢/ ٤٨٢، دار الكتب العلمية، بيروت١٤١١هـ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب الصلاة بمنى، رقم: ١٥٧٤، انظر صحيح البخاري ٢ /٥٩٧.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب المناسك، باب الصلاة بمنى، رقم: ١٩٦٠، وصححه الألباني، انظر سنن أبي داود ١/ ٦٠٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل ٨/ ٩٦، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى١٩٩٧م.

وحدث بعد العدوان الأمريكي الأخير على العراق([1])، وتركها مسرحاً كبيراً للفتن والمؤامرات، تغيُّظ الشيعة على أهل السنة ودار اقتتال شديد بينهما على المذهب، وهدمت المساجد بمجرد انتسابها لهؤلاء، أو أولئك.

ومن الأمثلة على الخلاف بين أهل السنة فيما بينهم الذي صار اختلافا وافتراقاً:((ما وقع بين أبي نصر القشيري الأشعري([2]) رحمه الله تعالى، وبين الحنابلة، فقد ورد بغداد سنة ٤٦٩هـ ، وجلس في المدرسة النظامية، وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم، ومال لنصرته أبو إسحاق الشيرازي([3]) وجماعة، فوقعت الفتنة، وقتل أناس وجرح آخرون! وحصلت مأساة انتهت بتسكين الفريقين وإخراج القشيري من بغداد إلى نيسابور))([4]). ومن الدلائل على الفرقة ما دار بين المسلمين من تمزق وشقاق، ومراعاة للمصالح الفردية، التي تسببت في ضياع جزء من بلادهم وانحسار الإسلام عن أماكن كثيرة بعد أن عمَّ نوره بقاع الأرض.

٢. فتنة القتال، والتفجير: تنقسم هذه الفتنة إلى قسمين هما: فتنة القتال، وفتنة التفجير.

القسم الأول: فتنة القتال.

إن مشروعية القتال في الإسلام لمنع الفتنة، لا لاندلاعها، أو استمرارها، قال تعالى:﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[البقرة: ١٩٣] وهو ينشب؛ لرفع ظلم؛ أو لدفع عدوان؛ أو لنشر دين الله وتعاليمه السمحة التي يحجب المجرمون نورها. والقتال الذي يدور بين المسلمين وبين غيرهم ممن يملك الأعداء زمامه ويديرون حركته، وينتصرون فيه، فغالباً ما تكون حروب إبادة ينتقم فيها الأعداء، ويُخرِجُون دفائن أنفسهم من الغِلّ، والحقد، والكراهية للحق وأهله، فتعمُّ بذلك الفتن، ومنه:

أ . اقتتال المسلمين مع الترك.

---

(١) بدأت عملية غزو العراق في ٢٠/٣/ ٢٠٠٣م، من قبل قوات الائتلاف بقياده الولايات المتحدة الأمريكية، وشكلت القوات العسكرية الأمريكية والبريطانية نسبة ٩٨%. تسببت هذه الحرب بأكبر خسائر بشرية في المدنيين في تاريخ العراق، وتاريخ الجيش الأمريكي منذ عدة عقود. وانتهت الحرب رسمياً في ١٥/ ١٢/ ٢٠١١م، حيث غادر آخر جندي أمريكي العراق في ١٨/١٢/ ٢٠١١م. انظر: https://ar.wikipedia.org، تم التحميل بتاريخ ١٨/ ٤/ ٢٠١٧م.

(٢) عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، النيسابوري، من بني قشير، لم يعرف مولده، ومات سنة (٥١٤هـ)، علت شهرته كأبيه. زار بغداد في طريقه إلى الحج، ووعظ بها، فوقعت بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية، فاستدعاه نظام الملك إلى أصبهان؛ إطفاءً للفتنة ببغداد، وأكرمه. وعاد إلى نيسابور، وتوفي بها. كان ذكياً حاضر الخاطر، فصيحاً، جريئاً، يحفظ كثيراً من الشعر والحكايات. وكان مشهوراً في التصوف والوعظ، راجع: الأعلام، الزركلي ٣/ ٣٤٦.

(٣) إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي، العلامة المناظر. كانت حياته بين (٣٩٣ . ٤٧٦هـ)، ولد في فيروز آباد (بفارس)، وانتقل إلى شيراز، فقرأ على علمائها. وانصرف إلى البصرة ومنها إلى بغداد سنة ٤١٥هـ، اشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة. وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية على شاطئ دجلة، فكان يدرس فيها ويديرها. عاش فقيراً صابراً. وكان حسن المجالسة، فصيحاً، ينظم الشعر. وله تصانيف كثيرة، منها: التنبيه، والمهذب في الفقه، وطبقات الفقهاء، واللمع في أصول الفقه، مات ببغداد وصلى عليه المقتدي العباسي. انظر: الأعلام، الزركلي ١/ ٥١.

(٤) ابن رجب الحنبلي، ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٩، تحقيق: ابن عثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط الأولى ١٤٢٥هـ.

قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ قَوْمًا وُجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ(١)، يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ، وَيَمْشُونَ فِي الشَّعَرِ))(٢). وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ، صِغَارَ الأَعْيُنِ، حُمْرَ الْوُجُوهِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ(٣) كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ))(٤). وقد وجد الترك في زمان الإمام النووي . رحمه الله تعالى . في القرن السابع الهجري، وفيه ظهر التتار المغول . وهم جيش من الترك . فقتلوا المسلمين، وعظم الخطب، ففي سنة سبع عشرة وستمائة خرج جيش من الترك يقال له (الططر)(٥) على المسلمين ثلاث مرات، وكان خروجهم الأخير تدميراً لبغداد ، وقتلاً للخليفة(٦) والعلماء وقد قاتل المسلمون أولئك الترك منذ عهد الصحابة الأجلاء . رضوان الله عليهم . وكان ذلك في أول خلافة بني أمية، في عهد سيدنا معاوية . رضي الله عنه . وقد كان مشهوراً في زمن الصحابة . رضي الله عنهم . وبينهم، حديث: ((اتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ))(٧). ومن وجه آخر، من حديث معاوية بن حُدَيْج(٨) يَقُولُ: كُنْتُ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ حِينَ جَاءَهُ كِتَابُ عَامِلِهِ يُخْبِرُهُ أَنَّهُ وَقَعَ بِالتُّرْكِ وَهَزَمَهُمْ، وَكَثْرَةَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، وَكَثْرَةَ مَنْ غُنِمَ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِ: قَدْ فَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ مِمَّا قَتَلْتَ وَغَنِمْتَ، فَلاَ أَعْلَمَنَّ مَا عُدْتَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلاَ قَاتَلْتَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي، قُلْتُ لَهُ: لِمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله . صلى الله عليه وسلم . يَقُولُ: لَتَظْهَرَنَّ التُّرْكُ عَلَى الْعَرَبِ حَتَّى تُلْحِقَهَا بِمَنَابِتِ الشِّيحِ وَالْقَيْصُومِ(٩)، فَأَكْرَهُ قِتَالَهُمْ لِذَلِكَ))(١). وحول ضحايا المسلمين

---

(١) المجان المطرقة أَيْ: غِلَاظُ الْوُجُوهِ عِرَاضُهَا. راجع: ابن منظور، لسان العرب، ١٠ / ٢١٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى، رقم:٢٩١٢، صحيح مسلم٤/ ٢٢٣٣.

(٣) الذَّلَفُ: بالتحريك قِصَرُ الأَنفِ وصِغَرُه، وقيل قصر القصَبة وصغر الأَرْنبة، وقيل هو كالخَنَس، وقيل هو غِلَظ واسْتِواء في طرَف الأَرنبة، وقيل غير ذلك. راجع: ابن منظور، لسان العرب ٩/ ١١١.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتال الترك، رقم:٢٧٧١، انظر صحيح البخاري٣/ ١٠٧٠.

(٥) الططر: الذي يظهر والله أعلم من خلال تتبع الكلمة في كتب التاريخ أن بعض العلماء يقول (التتار) بالمثناة، وبعضهم بالطاء (الططار)، وبعضهم بلا ألف فيقول:(الططر)، وباعتباره اسماً غير عربي، فقد اختلفوا في نطقه.

(٦) المستعصم بالله: عبد الله بن منصور المستنصر (١٢١٣/١٢٥٨) كان آخر خليفة عباسي في بغداد. حكم بين عامي ١٢٤٢ ، ١٢٥٨م، بعد أبيه المستنصر بالله. غزا المغول الدولة العباسية تحت قيادة هولاكو خان، وأعدم المستعصم. بعد أن ساعد ابن العلقمي المغول، فصرف الجيش، ولم يبق إلا عشرة آلاف مقاتل، فكان سبباً في دخول جيش هولاكو بغداد وقتل مليون وثمانمائة مسلم، وكانت نهاية الدولة العباسية، انظر: الأعلام ٤/ ١٤٠، وراجع: ابن كثير، البداية والنهاية ١٣/ ٢٠١.

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم: ١٠٣٨٩، انظر المعجم الكبير١٠/ ١٨١، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات، انظر: مجمع الزوائد ٥/ ٣٦٤.

(٨) الصحابي الجليل: معاوية بن حديج بن جفنة بن قنبر، وهو ابن كبشة بنت معدي كرب، الشاعرة، لم يعرف عام ولادته، توفي سنة ٥٢هـ، شهد صفين في جيش معاوية. ولاه معاوية إمرة جيش جهزه إلى مصر، وكان الوالي عليها محمد بن أبي بكر الصديق، من قبل علي بن أبي طالب، فقتل محمداً، وأخذ بيعة أهل مصر لمعاوية. ثم ولي إمرة مصر ليزيد. غزا المغرب مراراً، آخرها سنة ٥٠هـ. له في إفريقية آثار منها: آبار في القيروان تعرف بآبار حديج. انظر: الأعلام، الزركلي ٧ /٢٦٠ ، ٢٦١.

(٩) الشيح والقيصوم: من أفضل مراعي الإبل، وأبوال الإبل التي ترعى الشيح والقيصوم، وألبانها تدخل في علاج نوع من أنواع الاستسقاء. راجع: ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٤/ ٤٤٩، دار النوادر، دمشق، ط الأولى، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م.

أثناء الأحداث التاريخية والحروب التي انتصر فيها الأعداء، على اختلاف دياناتهم، ومعتقداتهم، نتأمل مدى الإجرام، والوحشية التي تكمن داخلهم، وتبني أخلاقهم، والنار التي تأكل قلوب كثير منهم، وانعدام الإنسانية التي يعاملون بها المسلمين، والانتقام الذي يظهر عند تمكنهم من رقاب المسلمين وتسلطهم عليهم، وهذا التقرير يبين طرفاً من ذلك:

((. إبادة أكثر من نصف مليون مسلم على يد النصارى أثناء مختلف الحملات الصليبية على المسلمين، بين القرن ١١ . ١٥ الميلادي([٢]).

. مقتل أكثر من مليون مسلم على يد المغول، سنة ٦٥٦هـ، حتى تلونت مياه دجلة والفرات بلون الدم.

. مئات الآلاف من المسلمين منهم من تمت تصفيته، ومنهم من أجبر على تغيير ديانته، ومنهم من تم استصدار ممتلكاته ونفيه، وذلك أثناء سقوط الأندلس، بسقوط غرناطة([٣]) سنة ٨٩٧هـ.

. إبادة وتشريد أكثر من ثلاثة ملايين مسلم أثناء، وبعد الاستعمار الأوروبي للعالم العربي والإسلامي.

. قتل وتشريد أكثر من خمسة ملايين مسلم في المناطق المجاورة لروسيا([٤]) على يد القيصر الروسي.

. التنكيل بأكثر من مليون مسلم بسبب المدِّ الاشتراكي الذي مارسه السوفيات (روسيا) سابقاً.

. إبادة أكثر من مليون ونصف مليون مسلم في الصين([٥])، وفيتنام([٦])، وكمبوديا([٧]).

. قتل وتشريد أكثر من نصف مليون مسلم في بورما([٨])، منذ الحرب العالمية الثانية.

. إبادة أكثر من نصف مليون مسلم في الهند([١]) وكاشمير، منذ سنة ١٩٤٧م.

---

(١) أخرجه أبو يعلي في المسند رقم: ٧٣٧٦، وقال حسين سليم أسد: إسناده مسلسل بالمجاهيل، انظر مسند أبي يعلى ١٣/ ٣٦٦، دار المأمون للتراث، دمشق، ط الأولى١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.

(٢) بدأت الحروب الصليبية من ١٠٩٦ . ١٢٩١م، لكن آثارها المدمرة استمرت حتى القرن الخامس عشر الميلادي.

(٣)غرناطة: جنوب إسبانيا، تقع على ارتفاع ٧٣٨ متراً فوق سطح البحر، انظر: https://ar.wikipedia.org، تم التحميل بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠١٧م. وراجع ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤/ ١٩٥، دار صادر، بيروت ط الثانية ١٩٩٥م.

(٤) روسيا: معروفة باسم روسيا الاتحادية، تقع في شمال أوراسيا، تضمُّ ٨٣ كيانًا اتحاديًا . تمتلك أكبر احتياطي في العالم من الموارد المعدنية والطاقة، والغابات والبحيرات. انظر: https://ar.wikipedia.org، تم التحميل بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠١٧م.

(٥) الصين: تقع في شرق آسيا ويحكمها الحزب الشيوعي، عاصمتها: بكين، سكانها أكثر من مليار وثلاثمائة ملايين نسمة.

المساحة: ٩،٥٩٧،٠٠٠ كم٢. انظر: https://ar.wikipedia.org، تم التحميل بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠١٧م، وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٣٧٠، الحِميري ، إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت، ط: الثانية ١٩٨٠م.

(٦) فيتنام: تقع جنوب شرقي آسيا، عاصمتها هانوي. يحدها من الشمال الصين ومن الشرق خليج تونكين، و من الغرب لاوس، وتايلاند وكمبوديا. انظر: https://ar.wikipedia.org، تم التحميل بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠١٧م.

(٧) كمبوديا: في جنوب شرق آسيا، ويحده تايلاند إلى الغرب والشمال الغربي، لاوس إلى الشمال، وفيتنام من الشرق والجنوب الشرقي، ومن الجنوب خليج تايلند انظر: https://ar.wikipedia.org، تم التحميل بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠١٧م.

(٨) بورما: تعرف أيضاً باسم ميانمار، ورسمياً جمهورية اتحاد ميانمار. هي إحدى دول جنوب شرق آسيا. انظر: https://ar.wikipedia.org ، تم التحميل بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠١٧م.

. إبادة أكثر من نصف مليون مسلم في البوسنة والهرسك([٢]) من قبل الصرب والكروات، وذلك في بداية العشرية التاسعة من القرن المنصرم.

. قتل أكثر من مائة ألف مسلم في كوسوفو([٣]) وألبانيا([٤]) خلال منتصف العشرية التاسعة من القرن الماضي.

. إبادة وتشريد أكثر من خمسة ملايين فلسطيني، من قبل اليهود، وذلك منذ احتلالهم لفلسطين سنة ١٩٤٨م.

. التنكيل بأكثر من خمسة ملايين مسلم أثناء الغزو الروسي لأفغانستان([٥]).

. مقتل أكثر من مليون طفل عراقي أثناء العشرية التاسعة من القرن الماضي، من جراء الحصار الذي مارسته أمريكا والأمم المتحدة على العراق))([٦]).

وقد تكون الحرب بين المسلمين أنفسهم، وقد أخبر النبي . صلى الله عليه وسلم . بوقوع ذلك بينهم، وليس مقصودي الأصيل أن أتعرض لبيان المحق من المخطئ في هذا النوع من القتال، إنما المقصود بيان وقوع الاقتتال بين المسلمين وظهور الفتن المضلة بينهم، فإن ذكرته فهو من باب النافلة، ومن ذلك:

أ. ما وقع بين الصحابة . رضوان الله عليهم . في موقعة الجمل، وصفين، وقد سبقت الإشارة إليهما، وصفين هي التي خصت بحديث رسول الله . صلى الله عليه وسلم . عندما قال: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ))([٧]). والفئتان هما: ((طائفة عليّ ومن معه، وطائفة معاوية ومن معه، وقيل: هم أصحاب الجمل))([٨]). ومعلوم مدى الخسائر الفادحة التي حلَّت بالمسلمين من جراء هذا النوع من القتال الذي قام على المتشابهات، والفتن المشاركة في صنعها يد الخيانة ورؤوس الضلال. ((وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَقِّ إِحْسَانُ الظَّنِّ بِالصحابة، وَالْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَتَأْوِيلُ قِتَالِهِمْ، وَأَنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ مُتَأَوِّلُونَ لَمْ

---

(١) الهند: دولة تقع في جنوب آسيا. تعتبر سابع أكبر بلد من حيث المساحة الجغرافية، والثانية من حيث عدد السكان، وهي الجمهورية الأكثر ازدحاماً بالسكان في العالم.انظر: https://ar.wikipedia.org، تم التحميل بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠١٧م. وراجع: محمد بن عبد المنعم الحِميري. الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٥٩٦.

(٢) البوسنة والهرسك: دولة تقع في البلقان بجنوب شرق أوروبا، إحدى جمهوريات يوغوسلافيا السابقة. تقع في جنوب أوروبا. انظر: https://ar.wikipedia.org، تم التحميل بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠١٧م.

(٣) كوسوفو: دولة معترف بها جزئياً تقع في جنوب شرق أوروبا تحدها جمهورية مقدونيا من الجنوب الشرقي وصربيا من الشمال الشرقي والجبل الأسود من الشمال الغربي وألبانيا من الجنوب. عاصمتها بريشتينا. يبلغ عدد سكانها مليونين وثلاثمائة ألف نسمة. انظر: موقع https://ar.wikipedia، تم التحميل بتاريخ ٢١ / ٤/ ٢٠١٧م.

(٤) ألبانيا: هي إحدى دول أقليم البلقان الواقع في جنوب شرق أوروبا. يحدها من الشمال الغربي الجبل الأسود وكوسوفو إلى الشمال الشرقي وجمهورية مقدونيا إلى الشرق واليونان من الجنوب والجنوب الشرقي.. انظر: موقع https://ar.wikipedia، تم التحميل بتاريخ ٢١ / ٤/ ٢٠١٧م.

(٥) أفغانستان: دولة تقع في آسيا الوسطى تحدها كل من طاجكستان، وأوزبكستان، وتركمانستان شمالاً، وإيران غرباً، والصين شرقاً، باكستان جنوباً.انظر: موقع https://ar.wikipedia، تم التحميل بتاريخ ٢١ / ٤/ ٢٠١٧م.

(٦) تم التحميل بتاريخ ٢٠١٥/٣/٢٥م بحجم ملف ٢٧٠,٨٤٨bytes، انظر: موقعhttp://www.startimes.com، وراجع: ابن كثير، البداية والنهاية ١٣/ ١٠٣.

(٧) أخرجه مسلم، كتاب الفتن، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، رقم:١٥٧، انظر صحيح مسلم ٤/ ٢٢١٣.

(٨) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٤/ ٩٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

يَقْصِدُوا مَعْصِيَةً وَلَا مَحْضَ الدُّنْيا، بَلْ اِعْتَقَدَ كُلُّ فَرِيقٍ أَنَّه الْمُحِقُّ، وَمُخَالِفُهُ بَاغٍ، فَوَجَبَ عَلَيه قِتَالُهُ لِيَرْجِعُ إِلَى أَمْرِ اللَّه. وَكَانَ بَعضُهُمْ مُصِيبًا، وَبَعضُهُمْ مُخْطِئًا مَعْذُورًا فِي الْخَطَأ؛ لِأَنَّه لِاجْتِهَادٍ، وَالْمُجْتَهِدُ إِذَا أَخْطَأَ لَا إِثْمَ عَلَيه، وَكَانَ عَلِيٌّ . رَضِيَ اللَّه عَنْه . هُوَ الْمُحِقُّ الْمُصِيبُ فِي تِلْكَ الْحُروبِ. وَكَانَتْ الْقَضَايَا مُشْتَبِهَةً حَتَّى إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ تَحَيَّرُوا فِيهَا فَاِعْتَزَلُوا الطَّائِفَتَيْنِ، وَلَمْ يُقَاتِلُوا))([1]).

ب . ما وقع بين الحسين بن علي . رضي الله عنهما . وبين يزيد بن معاوية . رضي الله عن أبيه. وانتهى الأمر بفجيعة المسلمين بقتل الحسين بن على . رضي الله عنهما .

ج . النِّزَاع القَائِم بين إيران، والإمَارات عَلَى الجُزُر الثَّلَاث((طنب الكبرى، والصغرى، وأبو موسى)) مُنذ ١٩٧١م، وإن لم يكن هناك حرب، إلا أن سببه قائم.

د . الحُرُوب الَّتِي كَانَت بَين العِراق، وإيران والَّتي دامت ثَماني سَنَوات مِن ١٩٨٠ . ١٩٨٨م. ووقوع آلاف القتلى من الجانبين، والخسائر المادية الجسيمة من الطرفين. وإيران رغم توجهها الشيعي الواضح فهي معدودة في التصنيف الدولي من كبريات الدول الإسلامية عدة وعتاداً.

هـ. اجتياح العراق للكويت سنة١٩٩٠م، وما أسفر عنه من خسائر بشرية ومادية.

و. اجتماع كثير من الدول العربية . مع بعض الدول الغربية . وقتالهم العراق؛ لإخراجه من الكويت.

ز. نشوب الفتن بين العراقيين وقتالهم لبعضهم منذ العدوان الأمريكي عليه، وتركهم العراق على هيئة جماعات متصارعة، وتصدير منظمات إرهابية متدربة إلى أراضي العراق لإطالة أمد القتال، واستمرار النزيف في الأرواح والأموال، وتقويض عمد الحضارة هناك، واستبقاء الاضطراب والفوضى، وإشعال الفتن التي تأكل الأخضر واليابس، وتأتي على ما تبقى من موارد لم يستطيعوا نهبها، وحضارة استعصى عليهم شموخها.

ح . القتال الذي ينشب بين فَتح، وَحَمَاس الفِلسطِينِيَّتَينِ بين الحين والآخر.

ط . الأحداث التي اندلعت في مصر منذ ٢٠١١م، وما خلفته من قتلى، ومصابين، وما زالت الأمور غير مستقرة بالصورة المطلوبة حتى الآن . ٢٠١٧م . بسبب العمليات الإرهابية التي تتم كل آن وآخر.

ي . الصراع الدامي في سوريا، والقتال الشديد بين السوريين، وانقسامهم إلى فريقين متقاتلين، فريق يتبع النظام الحاكم، وآخر يتبع المعارضة، وتساقط عشرات القتلى يومياً منذ ٢٠١١م، والله أعلم بمنتهاها.

ك . التناحر بين القبائل في ليبيا، واضطراب الأوضاع الأمنية هناك، وانتشار الخطف، والقتل العشوائي وترويع الآمنين منذ ٢٠١١م.

ل . الفوضى المتنامية في اليمن وتصدُّر الحوثيين([2]) المشهد والاقتتال الشديد من أجل السلطة والاستحواذ على المناصب والفوز بالغنائم.

---

(١) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١١/١٨، بتصرف يسير.

(٢) الحوثيون هم: جماعة تعبر عنهم حركة تسمى بحركة أنصار الله، وهي حركة سياسية دينية مسلحة، تتخذ من صعدة في اليمن مركزاً رئيسياً لها. عرفت باسم " الحوثيين" نسبة إلى مؤسسها حسين الحوثي الذي قتلته القوات اليمنية عام ٢٠٠٤م. ويعد الأب الروحي للجماعة. تأسست الحركة عام ١٩٩٢م، تنتمي قيادة وأعضاء هذه الحركة إلى المذهب الزيدي. شعار الحوثيين" الله أكبر، الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام، راجع: /wikipedia.org/wiki تم التحميل بتاريخ ٢٦/ ٣/ ٢٠١٥م، بحجم ملف:(٩,٢١٦ KB bytes).

م . تضامن كثير من الدول العربية والإسلامية، بقيادة المملكة العربية السعودية، وتوجيه ضربات موجعة للحوثيين في اليمن بداية من ٢٥/ ٣ / ٢٠١٥م، بما سميَّ بدول التحالف، وكانت أول ضرباته تحت شعار عاصفة الحزم، ثم عاصفة الأمل، وما زالت الحرب مستعرة، والقتلى من المسلمين يزدادون يوماً بعد يوم، والخسائر فادحة حتى كتابة هذه الأسطر٢٣/٤/ ٢٠١٧م.

فهذه جملة من الصراعات بين المسلمين، أيمَّاً كانت انتماءاتهم العرقية، أو مشاربهم الروحية، أو توجهاتهم السياسية، أو حتى مخالفاتهم في بعض القضايا العقدية، فإنهم في النهاية يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومحسوبون على الإسلام، معدودون من أفراد أمته.

وكل هذه الصراعات المذكورة تؤدي بطبعها . وهذا هو المشاهد الملموس . إلى القتل، والخراب، والدمار، والإعاقة، والتشريد، والفاقة، والفتُّ في عضد البلاد الإسلامية، وإضعافها، واستنزاف ثرواتها، وتكبيلها بالديون، وعموم الفتن في أرجائها وشدة المعيشة، وصعوبتها على البسطاء والعامة، هذا إن أفلتوا من المهالك التي تحيط بهم من كل جانب، ونجوا من الموت الذي يتربص بهم في كل مكان يتحركون فيه، ينبعث سهمه من جنبات فقر مدقع، أو بطالة مفسدة، أو تتفجر شظاياه من فوهة دبابة هنا، أو انطلاقة صاروخ هناك، أو انفجار قنبلة لا يعلمون مصدرها، أوقعت عليهم من السماء، أم خرجت لهم من الأرض؟!!

وهذا القتال المسرودة أحداثه، منه ما كان فيما سبق، ومنه ما زال مستمراً تدور رحاه طاحنة من يقف أمامها. كما أن هناك أنواعاً من القتال تصاحبها فتن وشدائد أيضاً، أخبر عنها رسول الله . عليه الصلاة والسلام . وأنها ما زالت في ضمير الغيب وبطن الليالي لم تطلَّ على الناس بما تحمله من بلايا ومهلكات، ومن ذلك:

أ . قتال الروم:

من الفتن الباقية التي لم تخرج بعد على الناس، قتال الروم للمسلمين، وهذه الفتنة قد بيَّن فيها النبي . صلى الله عليه وسلم . أن الروم سيغدرون بالمسلمين، وسبب غدرهم موالاتهم لصليبهم، فبعد أن يحارب الفريقان عدواً واحداً، متحالفين معاً، يقوم الروم فيدَّعون أن النصر الذي حدث أو يحدث إنما هو للصليب، فيرفض ذلك أحد المسلمين هذا الادعاء، ويكسر الصليب، ثم يغدر الروم بعد ذلك.

قال عليه الصلاة والسلام: ((سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ، فَتُنْصَرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَسْلَمُونَ، ثُمَّ تَرْجِعُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ(١)، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ، فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ؛ فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ))(٢).

وهذه المواجهة مع الروم لم تحدث بعد(٣) على ما هو معروف مشهور بين علماء المسلمين. وإمكانية حدوثها واردة، لما نراه اليوم من تحالفات بين دول المسلمين، والدول الغربية في أوقات السلم، وعقد الصفقات التجارية معهم، وكذلك اتفاقيات الدفاع المشترك والمساعدات العسكرية في حالات الحروب.

كما كان في حرب العراق سنة ١٩٩٠م، حينما اجتمعت الدول الغربية وكثير من الدول العربية؛ لإخراج العراق من الكويت. وكما يحدث هذه الأيام في أرض العراق، وسوريا من تحالف بعض دول الغرب مع المسلمين ضد "داعش"(١) وغيرهم، ويقاتلون

---

(١) المَرْجُ: الأرضُ الواسِعةُ ذاتُ نباتٍ كثير تَمْرُجُ فيه الدَّوابُّ أي تُخَلَّى تَسْرَحُ مُخْتلِطةً كيف شاءت، راجع: ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر٤/ ٦٦٥، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، بدون ذكر رقم الطبعة. والتلول: بضم التاء جمع تل بالفتح، وهو موضع مرتفع، راجع: العظيم آبادي، عون المعبود ٢/ ٥٣.

(٢) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الملاحم، باب ما يذكر من ملاحم الروم، رقم: ٤٢٩٢، وقال الألباني: صحيح ٢/ ٥١٢.

(٣) راجع: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٢/ ١٠٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون بيانات أخرى.

جميعاً ـ المسلمون وغيرهم ـ تحت راية واحدة وقيادة واحدة. يوشك أن يحدث هذا اللقاء مع الروم بعد حرب من تلك الحروب التي تجمعهم ضد عدو مشترك.

ب ـ قتال العجم([٢]):

وقد جاء ذكرهم على لسان النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكر بعض أوصافهم مثل قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيما يرويه أبو هريرة ـ رضي الله عنه: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزًا([٣]) وَكَرْمَانَ([٤]) مِنَ الأَعَاجِمِ حُمْرَ الْوُجُوهِ فُطْسَ الأُنُوفِ صِغَارَ الأَعْيُنِ وُجُوهُهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ))([٥]) وخُوز وكَرمان: عجم، كما في الحديث الشريف.

وهنا إشكال مفاده: هل هؤلاء هم الترك السابق ذكرهم بهذه الأوصاف، أم أنهم صنف آخر يقاتلهم؟

والظاهر أنهما صنفان مختلفان، ويؤيد ذلك ما جاء في فتح الباري: ((ولا مانع من اشتراك الصنفين في الصفات المذكورة مع اختلاف الجنس، وقيل: إنهما صنفان من الترك، أصول أحدهما من خُوز، والآخر من كَرمان))([٦]). والشاهد من ذكر ذلك، وقوع القتال بين المسلمين وغيرهم وما يترتب على ذلك من فتن وشدائد.

القسم الثاني: فتنة التفجير.

لا أقصد بالتفجير ما يكون في الحروب من وقوع الصواريخ على الجيش المحارب، أو انفجار قنبلة أثناء نشوب القتال، وما يزرعه المحاربون في الأرض من ألغام، سواء أكانت ضد الأفراد، أو المركبات الثقيلة، أو الخفيفة أثناء القتال، وإنما أقصد حمل فرد من الأفراد المدنيين المسلمين لقنبلة من القنابل، وتفجيرها في بعض جنود جيشه، أو في جيش من جيوش المسلمين على وجه العموم، أو إحاطة نفسه بحزام ناسف وتفجيرها في مجموعة من المسلمين المدنيين أو العسكريين، أو حتى في تجمعات غير المسلمين المستأمنين على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، بتأشيرة دخول البلاد الإسلامية، أو بالذهاب إلى بلاد الغير وعمل تفجيرات داخل بلادهم.

ولعمري ما موقفُ الشَّرع الحنيف مِن هذه العَمَلِيَّات التَّفجِيرِيَّة التي يقوم بها آحاد المسلمين بهذا الوصف السابق، هَل يُعتَبَرُ مَن قام بها شَهِيداً ؟ أم أنه يستحق الشهادة فقط إذا كانت العملية مِن مُسلم فِي المُحَارِبين غَيرِ المُسلِمِينَ؟، وهل لأحد أن يَعُدَّه مُنتَحِراً؟([٧])، وإذا كانت في غير المسلمين المسالمين؟ هل يحل لأحد أن يسميه شهيداً، أو يصف من يقدم على هذا الإجرام بالشهادة؟! وما الحكم إذا تمت هذه العملية في مجموعة من المسلمين المخالفين له في بعض الأفكار، ولو كانوا منحرفين في بعض الاعتقادات؟

---

(١) داعش: الدولة الإسلامية في العراق والشام" وهو تنظيم مسلح يُوصف بالإرهاب يتبنى الفكر الجهادي يزعم الرغبة في إعادة "الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة" بمنظورهم، يمتد في العراق وسوريا. زعيم هذا التنظيم هو: أبو بكر البغدادي. انظر موقع: http://www.maajim.com/dictionary، تم تحميل الملف وحجمه (١٢,٢٨٨bytes)، بتاريخ ٢١/ ٥/ ٢٠١٥م.

(٢) العجم: خلاف العرب، مفرد عجمي، كعربي جمعه عرب. راجع: ابن منظور، لسان العرب١٢ / ٣٨٥.

(٣) خُوز: خوزستان، من بلاد الأهواز من عراق العجم. وقيل: صنف من الأعاجم، راجع: ابن حجر، فتح الباري ٦ / ٦٠٧.

(٤) كَرْمان: بالفتح ثم السكون وآخره نون، وربما كسرت الكاف، والفتح أشهر، وهي بلاد واسعة مشهورة، يحدها غرباً بلاد فارس، وشمالاً خراسان، وجنوباً بحر فارس. وأهلها أهل سُنّة وجماعة وخير وصلاح. راجع ابن حجر، وفتح الباري ٦ / ٦٠٧.

(٥) أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم:٣٣٩٥ انظر: صحيح البخاري ٣ / ١٣١٥.

(٦) ابن حجر، فتح الباري ٦ / ٦٠٧.

(٧) حسن وهدان، أحكام الجهاد عند ابن تيمية، وتطبيقاته المعاصرة، ص١١١: ١٣١، رسالة بالجامعة الأردنية، ٢٠٠٦م.

ما عدا صورة المسلم الذي يفجر نفسه في فرد أو مجموعة من الكفار المحاربين الذين لا يجد له حيلة في قتالهم، أو مواجهتهم، أو الخلاص منهم، وهم يرتكبون معه وبني جلدته من الفظائع والعظائم مالا طاقة لأحد به من هدر للكرامة وانتهاك للحرمات واستهانة بالشرف . وإن رأى بعض العلماء البحث عن طريقة أخرى لقتالهم، دون قتل نفسه([1]).

ما عدا هذه الصورة، فإن بقية الصور مما يؤسف له حدوثها وقيام بعض المسلمين بها؛ إذ أن الأعداء لا يتورعون من الكذب واستغلاله والتسويق له على أن الإسلام هو الذي يدعو لذلك ويأمر به، ويربي النشء عليه، ومن ذلك:

١. تفجير برجي التجارة العالمية الأمريكيين([2]).

٢. تفجير السائحين بإلقاء قنبلة عليهم، أو بتفجير أحد نفسه فيهم أثناء تواجدهم في البلاد التي قصدوها([3]).

٣. تفجير حافلات جنود المسلمين، مثل حافلة جنود الجيش المصري الذي تم تفجيره في شبه جزيرة سيناء([4]).

٤. تفجير مساجد الشيعة في القطيف([5])، والدمام([6]) بالمملكة العربية السعودية.

ثانياً: فتنة الشهوات.

تنزع النفس البشرية إلى حب المال، والولد، والميل نحو المرأة إن كان رجلاً، والرغبة في الرجل إن كانت امرأة، وذلك مُزين للنفس محبب إليها، ولم يأت الإسلام لمنع ذلك؛ وإنما ليدل على الطرق الصحيحة التي توصل إليها، فإن الانحراف عنها يوقع في غياهب الفتن ودياجيرها، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

١. فتنة المال:

((يعرف المال بأنه: ما كان غير العين كالعروض والثياب، وعند جماعة، المال هو العين، كالذهب والفضة. والمعروف من كلام العرب: أن كل ما يتمول ويملك فهو مال))([7]).

وكما جاء إطلاق المال على النقدين . الذهب والفضة، والأوراق المالية، فقد أطلق على مفردات كثيرة منها:

أ. البستان:

---

(١) راجع: الموسوعة الفقهية الكويتية ٦/ ٢٨٥. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، دار السلاسل، الكويت ط الثانية١٤٢٧هـ.

(٢) أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م : مجموعة من الهجمات على أمريكا، تم تحويل اتجاه أربع طائرات؛ لتصطدم بأهداف محددة نجحت في ذلك ثلاث منها هي. برجا مركز التجارة الدولية بمنهاتن، ومقر وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون). سقط نتيجة لهذه الأحداث ٢٩٧٣ ضحية، ٢٤ مفقوداً، إضافة لآلاف الجرحى والمصابين بأمراض جراء استنشاق دخان الحرائق والأبخرة السامة. تم التحميل من: http://ar.wikipedia.org بحجم ملف ٣١٥,٣٩٢ KB (bytes)، بتاريخ ٣٠/ ٥/ ٢٠١٤م.

(٣) جريمة إرهابية في طابا، مصرع ٣ وإصابة١٥ في تفجير أتوبيس سياحي، مقال في: جريدة الأهرام، الاثنين ١٧ من ربيع الثاني ١٤٣٥هـ /١٧ فبراير٢٠١٤م، السنة ١٣٨، العدد ٤٦٤٥٩.

(٤) أحمد سليم وحسناء الشريف، اعتقال ٤ إرهابيين متورطين في تفجير أتوبيس الجنود بسيناء، مقال في: جريدة الأهرام، بتاريخ الأحد ٥ من صفر ١٤٣٥هـ/ ٨ ديسمبر ٢٠١٣م السنة ١٣٨، العدد ٤٦٣٨٨.

(٥) منير النمر، استشهاد ٢١ مواطناً وجرح ٨١ بعملية إرهابية ضربت مسجد الإمام علي بالقديح، مقال في: جريدة الرياض، السبت ٥ شعبان ١٤٣٦هـ /٢٣ مايو ٢٠١٥م، العدد ١٧١٣٤.

(٦) أحمد العويد، محمد خليل، توالي إدانات الدول والمنظمات لحادثة مسجد «العنود». وتضامن عالمي مع المملكة في محاربة الإرهاب، جريدة السبت ١٢ شعبان ١٤٣٦هـ /٣٠ مايو ٢٠١٥م، العدد ١٧١٤١.

(٧) ابن حجر، فتح الباري ١١/ ٥٩٢. وراجع أبا هلال العسكري، الفروق اللغوية ١/ ١٧٥.

عن أَبِي قَتَادَةَ . رضي الله عنه . قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . عَامَ حُنَيْنٍ، فَأَعْطَاهُ . يَعْنِي دِرْعًا([1]) . فَبِعْتُ الدِّرْعَ، فَابْتَعْتُ بِهِ مَخْرَفًا([2]) فِي بَنِي سَلِمَةَ، فَإِنَّهُ لأَوَّلُ مَالٍ تَأَثَّلْتُهُ([3]) فِي الإِسْلاَمِ))([4])، وعن أَنَس رضي الله عنه قال:((كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ))([5])

ب . الأرض:

يطلق المال أيضاً على الأرض وما يحوزه المرء من مساحات، قلت هذه المساحات أو كثرت ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ . رضي الله عنهما . ((أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ . صلى الله عليه وسلم . يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، لَمْ أُصِبْ مَالاً قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ...))([6]).

ج . ما يؤكل ويلبس:

وكذلك يطلق المال على ما يؤكل ويلبس، عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم: ((يَقُولُ: الْعَبْدُ مَالِي مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلاَثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ))([7]). فالمال إذن يشمل:

أوراق النقد، والمعادن الثمينة، والأنعام، والمنازل، والأثاث، والمراكب كالسيارات والطائرات، ونحو ذلك.

والمال في هذه الدنيا هو عصب الحياة يستعان به على تحقيق المصالح وجلب المنافع، وفعل الطاعات، فيكون ثمرة ذلك النجاح والفلاح قال النبي . صلى الله عليه وسلم: ((نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ))([8]).

والمال أحد زينتي الحياة الدنيا، قال سبحانه: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾[سورة الكهف: ٤٦]. وحب المال طبيعة أصيلة في بني آدم، قال تعالى:﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾[الفجر: ٢٠]. وقد أخبر رسول الله . صلى الله عليه وسلم . عن حرص الإنسان على المال وشغفه به، فقال صلى الله عليه وسلم: ((لَوْ كَانَ لاِبْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لاَبْتَغَى ثَالِثًا، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ))([9]). وإذا كانت هذه طبيعة بشرية؛ فإن الإنسان يحرص على جمع المال والحصول عليه ولو كان شيخاً كبيراً؛ بل يسعى الشيخ مجتهداً في جمعه كما الشاب الجلد، عن أبي هريرة . رضي الله عنه . عن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال: ((قَلْبُ الشَّيْخِ شَابٌّ عَلَى حُبِّ اثْنَتَيْنِ:

---

(١) الدِّرْعُ: لَبُوسُ الحديد، تذكر وتؤنث، تلبس وقاية من السلاح، راجع ابن منظور، لسان العرب ٨/ ٨١.

(٢) المخرف: البستان، راجع ابن منظور، لسان العرب ٩/ ٦٢.

(٣) تأثل: اتخذ، راجع ابن منظور، لسان العرب ١١/ ٩.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب بيع السلاح في الفتنة وغيرها، رقم:١٩٩٤، انظر: صحيح البخاري ٢/ ٧٤١.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الزَّكَاةِ عَلَى الأَقَارِبِ، رقم: ١٣٩٢، انظر: صحيح البخاري٢/ ٥٣٠.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، رقم:٢٥٨٦، انظر: صحيح البخاري ٢/ ٩٨٢.

(٧) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، رقم: ٢٩٥٩، انظر: صحيح مسلم ٤/ ٢٢٧٣.

(٨) أخرجه أحمد في المسند رقم: ٧٧٩٨ ، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، انظر: المسند ٤/ ١٩٧.

(٩) أخرجه الشيخان،البخاري، كتاب الرقاق، باب مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ، وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾، رقم:٦٠٧٣، انظر صحيح البخاري ٥/ ٢٣٦٤، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً ٢/ ٧٢٥.

حُبِّ الْعَيْشِ، وَالْمَالِ))[1]. وقال النبي الكريم في بيان فتنة المال:((إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ))[2].وقد بيَّن الله . تعالى . أن المال فتنة، ويجب على المسلم أن لا ينشغل به عن ذكر الله وطاعته. قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَآ أَمْوالُكُم وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[الأنفال: ٢٨]، وقال :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[المنافقون: ٩].

٢. فتنة الولد:

الولد هو ثمرة الفؤاد وفلذة الكبد، وهو امتداد الإنسان في الحياة وبقاء ذكره، وعصاه التي يتوكأ عليها عند العجز، وماله الذي يعينه عند الفقر، وسلوته التي تؤنسه عند الوحشة، وقوته التي تبقى عند الفوت، وعمله الصالح الذي لا ينقطع بعد الموت. وإذا كان الولد بهذه الأهمية للوالد، فكيف يكون عدواً، أو فتنة كما ذكر القرآن الكريم، في قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ* إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[التغابن: ١٤،١٥].

إن الولد يكون عدواً، أو فتنة إذا تلهَّى الإنسان به عن العمل الصالح، أو حمله على قطيعة الرحم، أو الوقوع في المعصية، فيستجيب له بدافع المحبة لأولاده، والشفقة من إيلامهم بعدم تنفيذ مطالبهم.

((ففتنة الولد، هي فرط محبتهم، وشغله بهم عن كثير من الخير، أو التفريط بما يلزمه من القيام بحقوقهم، فهذِه الفتنة تقتضي المحاسبة))[3]. ولهذا نهانا الله . تعالى . عن ذلك فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[المنافقون:٩].

وقد بين ابن عباس . رضي الله عنهما . معنى الفتنة بالأولاد، والأزواج عندما ((سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ قَالَ: هَؤُلاءِ رِجَالٌ أَسْلَمُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَرَادُوا أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّ . صلى الله عليه وسلم . فَأَبَى أَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ أَنْ يَدَعُوهُمْ أَنْ يَأْتُوا رَسُولَ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . رَأَوْا النَّاسَ قَدْ فَقِهُوا فِي الدِّينِ، هَمُّوا أَنْ يُعَاقِبُوهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ . عَزَّ وَجَلَّ . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾[التغابن: ١٤]))[4].

فالولد يكون عدواً لأبيه، والزوجة تكون عدوة لزوجها إذا تسببا في صرف الرجل عن طاعة الله ومرضاته إلى معصيته وغضبه، فمن الآباء من يُقصِّر في البذل والإحسان بسبب أبنائهم، ومنهم من يدخل بيته المنكرات استجابة لرغبة أهله وأولاده، ولهذا كان على المسلم أن يحذر حتى يسلم من ذلك ويغنم.

وأما كون المال والولد فتنةً أي: اختباراً وابتلاءً فأمر ظاهر، فمن الناس من يكون المال والولد سبباً في صلاحه واستقامته، ومنهم من يطغيه ذلك، ويصرفه عن ربه سبحانه. ولهذا قال النبي . صلى الله عليه وسلم . عن الأولاد: ((إِنَّهُمْ لَمَجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا، رقم: ١٠٤٦، انظر صحيح مسلم ٢/٧٢٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند رقم :١٧٥٠٦، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد قوي، انظر: المسند ٤/ ١٦٠.

(٣) ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٦/ ١١٤، دار النوادر، دمشق، ط الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله . صلى الله عليه و سلم . باب ومن سورة التغابن، رقم: ٣٣١٧، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، انظر: سنن الترمذي ٥/ ٤١٩.

إِنَّهُمْ لَمَجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ))[1].أي قد يدعون أباهم إلى الجبن والإحجام مع ما يصيبه من الحزن عند فقدهم، يقول عليه الصلاة والسلام:((إن الولد مبخلة مجهلة محزنة))[2] والمقصود أن يكون الولد سبباً في بخل أبيه؛ لادخاره له، وسبباً في جبنه عن الإقدام؛ خوفاً عليه من ضياعه بعده، وسبباً لوقوعه في الجهل، وانصرافه عن العلم؛ لبقائه عنده وعدم التفرغ للعلم. لكن ينبغي أن ينبه إلى هذا الملمح اللغوي في قوله:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾[التغابن: ١٤]، وذلك في قوله:﴿ إن من أزواجكم ﴾، فقد ((أدخل" من " للتبعيض، لأن كلهم ليسوا بأعداء. ولم يذكر" من " في قوله تعالى: " إنما أموالكم وأولادكم فتنة "؛ لأنهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما))[3]. ويوضح هذا المعنى قول بُرَيْدَةَ . رضي الله عنه: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ . عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ . عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:« صَدَقَ اللَّهُ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ فَنَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا))[4].

ويظهر من بيان سيدنا الخضر لسيدنا موسى عليهما السلام سبب قتله للغلام في رحلته التي صاحبه فيها إمكانية أن يكون الولد فتنة لوالديه وسبباً في هلاكهما، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾[الكهف: ٨١].

مما سبق يتضح أن من الأولاد من هو عدو لوالديه، يحملهما على المعصية، والتقصير في الطاعة، وقد يستجيبان له بدافع الحب الفطري المغروز داخلهما تجاه فلذة كبدهما، ومهجة فؤادهما، وليس كل الأولاد أعداء للآباء، يدفعونهم للوقوع في الآثام. إلا أن الرزق بالأولاد من باب الابتلاء والفتنة التي يجب أن يحسن الإنسان التعامل معها؛ لينجو من آثارها السلبية، ويجني ثمارها المرضية.

٣. فتنة كل من النساء والرجال بالآخر:

المرأة مخلوقة من الرجل، وهي بضعة منه، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾[النساء: ١]؛ لذا فهي شغوفة به، متطلعة إليه، وهو مرتبط بها منشغل بأحوالها، يذلّل لها مصاعب الحياة، كما أنها تهون عليه لأواءها، فهي راحة بعد تعب، وسكن بعد إجهاد، قال تعالى:﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الروم: ٢١]، وهذه الغريزة في الإنسان، من حوائجه الضرورية التي لا ينفك عنها، قال الله تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَئَابِ﴾[آل عمران: ١٤].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند رقم: ٢١٨٨٩، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف، انظر المسند:٥/ ٢١١.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك رقم: ٤٧٧١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وقال المحقق مصطفى عبد القادر عطا: سكت عنه الذهبي في التلخيص، انظر: المستدرك ٣/ ١٧٩.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨/ ١٤٣.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله . صلى الله عليه و سلم . باب مناقب الحسن والحسين . عليهما السلام، رقم: ٣٧٧٤، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد، انظر: السنن٥/ ٦٥٨.

وقد قدَّم الله تعالى حب الرجال للنساء على غيرها من أنواع الشهوات المذكورة؛ ((لأن الفتنة بهن أشد، قال صلى الله عليه وسلم: " مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ"(١)، فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد، فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه، لحديث" الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ "(٢)))(٣). ويمكن حصر صور الوقوع في فتنة النساء من خلال ما يلي:

١. العشق المحرم والتعلق الشديد بالمرأة.
٢. إدامة النظر إلى النساء الأجنبيات والتطلع إليهن.
٣. ما يقع بين الرجل والمرأة من فعل محرم.
٤. تجاوز الحدود الشرعية في التعلق بالزوجة والشغف بها.
٥. التقصير في حق الزوجة، والبنات، والقريبات من ذوي الرحم والنسب.

ويساهم في ازدياد صور فتنة النساء الثلاث الأُول ما يلي:

أ . التبرج والمبالغة في الزينة:

نهى الله . تعالى . النساء عن التبرج ، فقال:﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾[الأحزاب: ٣٣]، والتبرج في نساء الجاهلية يختلف في صورته ودرجته عن تبرج العصر الحاضر، فقد ((كانت المرأة تخرج، تمشي بين يدي الرجال، وقيل: كانت لهن مشية وتكسر وتغنج، وقيل: كانت المرأة تلقي الخمار على رأسها، ولا تشده فيواري قلائدها، وقرطها، وعنقها، ويبدو ذلك كله منها))(٤). وقد زاد التبرج على ما كان عليه في الجاهلية، فأظهرت المتبرجة أغلب جسدها، وبالغت في زينتها وتغيير لون شعرها، وجلدها، وعينيها، وتصغير بعض أجزاء جسدها وتكبيره. كما شغفت بأنواع الملابس، من خلال بيوت الأزياء، وما تعرضه. وقد وصل الأمر إلى كشف العورات المغلظة، كما في نوادي العراة(٥) التي تجاوزت كل الأديان والأعراف.

ب . الاختلاط المنفلت وانتشار صور النساء:

من الأمور التي تتأجج معها نار الفتنة الاختلاط بالنساء من غير ضرورة فعلية، ولا ضوابط شرعية، ويعده بعض الناس من قبيل المدنية وأسس التقدم والحضارة، وهو يؤثر بالسلب على طهارة المجتمع وصيانته، كما أن تصدر صور النساء صفحات المجلات، والجرائد، وشاشات التلفزيونات، ومواقع الانترنت. ومعظم الدعايات للسلع التجارية، كل ذلك يقوم مقام وجود النساء من إثارة الغرائز والافتتان بهن. وقد تفننت التقنية الحديثة في تجميل صور النساء، بحيث تبدو غالباً أجمل من الحقيقة. إضافة إلى الأوضاع التي تلتقط عليها الصورة. وسهولة تبادلها عبر الهواتف النقَّالة وبرامجها الحديثة.

ج . المحادثات الهاتفية بالوسائل الحديثة:

قد تستخدم المحادثات الهاتفية في العصر الحاضر؛ للتواصل بين الرجل والمرأة، دون ملاحظة أحد إلا بالتتبع والملاحقة في حين أن الحديث، أو التواصل بينهما لم يكن سابقاً بهذه السهولة، أو السرية، وبهذا زادت الخطورة، واشتدت الفتنة بالنساء، ويَسَّرتها هذه الاتصالات عبر وسائلها الحديثة، وتطبيقاتها المختلفة(٦).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، رقم:٢٧٤٠، انظر الصحيح ٤/ ٢٠٩٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، رقم:١٤٦٧، انظر صحيح المسلم ٢/١٠٩٠.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/ ١٩، وانظر: فتح الباري، ابن حجر، ٩/ ١٣٨.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٦/٤١٠، باختصار.

(٥) ومن أبرزها شواطئ في فرنسا وإسبانيا واليونان، راجع : https://now.mmedia، تم التحميل بتاريخ ١٦/ ٣/ ٢٠١٧م.

(٦) مثل: المنتديات الإلكترونية، والشات، والتويتر، والفيس بوك، والاسكيب، والواتس أب، وغير ذلك.

وكما يفتتن الرجال بالنساء، فإن النساء يُفتنَّ بالرجال أيضاً، وفيما حدث من امرأة العزيز تجاه سيدنا يوسف . عليه السلام . ما يدل على ذلك، قال تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾[يوسف: ٢٣]، وقال سبحانه مبيناً حالة النساء حين خرج عليهن سيدنا يوسف: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[يوسف: ٣١]. وفي هذا الخبر أيضاً ما يدل على ذلك: فقد كان((نصر بن حجاج بن عِلَاط السُلمي ثم البهزي شاعراً. من أهل المدينة، وكان جميلاً. قالت إحدى نساء المدينة:

يا ليت شعري عن نفسي، أزاهقة * ** مني، ولم أقض ما فيها من الحاج !

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ؟ ** * أم من سبيل إلى نصر بن حجاج ؟

وسمع أمير المؤمنين عمر، فقال: لا أرى رجلاً في المدينة تهتف به العواتق([1]) في خدورهن! فأمر به فحلق شعر رأسه، ثم نفاه إلى البصرة. وذكرت له قصة مع امرأة أخرى في البصرة، نفاه بسببها أبو موسى الأشعري إلى فارس، وأن دهقانة([2]) أعجبت به في فارس، فكتب أميرها عثمان بن أبي العاص الثقفي([3]) بخبره إلى عمر، فجاءه: فجزوا شعره وشمروا قميصه وألزموه المساجد. ولما قتل عمر، عاد نصر إلى المدينة))([4]).

وبذلك يتضح أن من الفتن ما هو خاص يتعلق بفتنة الرجل أو المرأة وقد لا يصيب عموم الناس سواء وقع ذلك في الأهل، أو المال، أو الولد. كما أن هناك من الفتن ما هو عام يشمل عموم الناس، وغالبيتهم.

---

(١) العاتِق: الشَّابَّةُ أَول مَا تُدْرِكُ، وَقِيلَ: الَّتِي لَمْ تَبِنْ مِنْ وَالِدَيْهَا وَلَمْ تَتَزَوَّجْ وَقَدْ أَدركت وشَبَّت، انظر: لسان العرب ١٠/ ٢٣٦

(٢) الدِّهْقان، والدُّهقان: التاجر أو: القويّ على التصرف مع حِدَّة. فارسي معرَّب، وقيل: عربي. انظر لسان العرب ١٣/ ١٦٣.

(٣) الصحابي الجليل: عثمان بن أبي العاص بن بشر بن دهمان، من أهل الطائف. لم يعرف عام ولادته، توفي سنة ٥١هـ. أسلم في وفد ثقيف، فاستعمله النبي . صلى الله عليه وسلم . على الطائف، ولّاه عمر " عمان " و " البحرين " سنة ١٥هـ، ثم عزله عثمان، فسكن البصرة إلى أن توفي. له فتوح وغزوات بالهند وفارس. في البصرة موضع يقال له " شط عثمان " منسوب إليه. منع ثقيفاً عن الردة: خطبهم فقال: كنتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أولهم ارتدادا. راجع: الزركلي، الأعلام ٤/ ٢٠٧

(٤) الزركلي، الأعلام ٨/ ٢٢.

المَبحَثُ الثَّالثُ:

آثار الفتن، ونتائجها.

بعد هذا العرض الذي سبق عن الفتن وأسبابها . يتناول البحث أهم آثار الفتن ونتائجها على الفرد والمجتمع، من خلال جزأيها الرئيسين (الشبهات ، الشهوات).

أما فيما يتعلق بالآثار المترتبة على فتن الشبهات فيمكن توضيحه فيما يلي:

الأثر الأول: الافتئات على شرع الله تعالى، والتصريح بالفسق والفجور:

أدَّت الفتن التي تعج بها هذه الأيام إلى تجرؤ البعض على الإسلام بصورة فجَّة ملحوظة، وتهجمهم على سنة نبيه الكريم . صلى الله عليه وسلم . والخروج على الثابت المستقر بالدليل.

فمن العجيب القول بأن((الحجاب ليس من الإسلام، وأن معناه في اللغة العربية: الحاجز، فالغرض أصلاً من الحجاب هو: غطاء الرأس، وأن هذه العبارة لم ترد مطلقاً في القرآن الكريم، أو في الأحاديث، وأن كلمة الحجاب وردت في القرآن الكريم أربع مرات على سبيل الحصر في أربع آيات(١)، وجاءت بمعنى حاجز أي: سُور وليست غطاءً للرأس(٢). وأن الحديث الذي روته السيدة عائشة عن الرسول . صلى الله عليه وسلم . " إِنَّ المَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ المَحِيضَ لَمْ يَصْلُحْ أن يُرَى مِنْهَا شَيءٌ إِلاَّ هذا وهذا، وَأَشَارَ إلى وَجْهِهِ وَكَفَّيْهِ " حديث ضعيف وغير صحيح، ولا يجوز أن نأخذ حديثاً ضعيفاً لنجعله سنداً إلى فرض(٣). وأضاف أن القرآن حرَّم السُكر وليس الخمر، مشيراً إلى أن الآيات التي وردت بالقرآن الكريم بالكامل لم تحرم الخمر. وأوضح أن كل ما ذكر بالقرآن الكريم في هذا الشأن حرَّم السُكر فقط، وليس الخمر كقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾[النساء: ٤٣]، مشيرًا إلى أن جزءاً بسيطاً من الخمر قد لا يؤدى للسُكر، والجنة بها أنهار من الخمر.

وقال: إنه لا يوجد ما يسمى بكتاب " صحيح البخاري "، وأن التراث الإسلامي مليء بالأكاذيب. وأضاف أن الإمام البخاري كان كفيفاً، ولا يجيد العربية، وجاء بعد الرسول بـ٢٠٠ عام، مشيراً إلى أن الكتابة المطبوعة بدأت في عام ١٨٠٠م، و"البخاري"

---

(١) قد يقصد مبنى الكلمة، وهي موجودة في هذه الآيات الكريمات ﴿ وَبَيْنَهُما حِجابٌ ﴾[الأعراف:٤٦]، وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾[الأحزاب:٥٣]، وقوله سبحانه: ((وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ) [فصلت:٥]، وفي قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾[سورة الشورى: ٥١].

(٢) لقد فصَّل العلماء القول في فرضية الحجاب تفصيلاً واضحاً، فكتب التفسير تبين ذلك في موضعه كقوله تعالى:﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ... الآية ﴾[النور:٣١]، وقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ ﴾[الأحزاب: ٢٨]. كما أفرد كثير من العلماء كتباً لبيان فرضية الحجاب في الإسلام، مثل: كتاب: الحجاب وعمل المرأة، الشيخ/ عطية صقر، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة ١٤٠٣هـ. وكتاب الحجاب، أدلة الموجبين وشبه المخالفين، مصطفى العدوي، مكتبة الطرفين، الدمام، ط الثانية، ١٤١٠هـ. وكتاب: إبراز الحق والصواب في مسألة السفور والحجاب، صفي الرحمن المباركفوري، دار الطحاوي، الرياض، ط الأولى ١٤١٣هـ.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: ٤١٠٤، وقال: هذا مرسل، فخالد بن دريك لم يدرك عائشة . رضي الله عنها . انظر: السنن٢/٤٦٠، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٨٦/٧، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الباز، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. وقال الألباني: رواه أبو داود وقال: هذا مرسل ٢/ ١٣٨ ضعيف. وهو وإن كان منقطعاً ضعيف السند، لكن له شاهد من حديث أسماء بنت عميس بنحوه وقال: " ثياب شامية واسعة الأكمام بدل ثياب رقاق " فالحديث بمجموع الطريقين حسن ما كان منه من كلامه . صلى الله عليه وسلم . وأما السبب فضعيف؛ لاختلاف لفظه في الطريقين كما ذكرت. راجع: محمد ناصر الدين الألباني إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ٦/ ٢٠٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

تواجد([1]) قبل ذلك الوقت بألف عام، ولا يوجد قبل ذلك الوقت مخطوطة بخط يد لـ"البخاري". وأوضح أنه يوجد ٦٦٠ ألف حديث، الصحيح منهم ٢٤٢٠ فقط متفرقين في عدة كتب، بعضهم من البخاري، وبعضهم من صحيح مسلم، وابن ماجه. إلخ. وأضاف أن الصحابي أبا هريرة قال بنفسه: "أنا وضعت ٣٠٠٠ آلاف حديث من عندي، ولم يكونوا عن الرسول))([2]). وهذا الكلام تَضمَّنَ عدة أغاليط، وأكاذيب، وافتراءات، كما يدل دلالة واضحة عن ذهول أصحابه عن قواعد المنطق، وأصول الحديث، وتبنيهم للأوهام والخيالات المريضة، ويمكن توضيح هذا كما يلي:

١. فيما يتعلق بالحجاب:

قالوا عن حديث أسماء رضي الله عنها((أَنَّ المَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ المَحِيضَ لَمْ يَصْلُحْ أن يُرَى مِنْهَا شَيءٌ إلاَّ هذا وهذا)): إنه حديث ضعيف وغير صحيح، ولا يجوز أن نأخذ حديثاً ضعيفاً لنجعله سنداً إلى فرض.

والمتدبر تخريج الحديث، والحكم عليه، يرى أنه يمكن الاحتجاج به، والتعويل عليه، ثم إن هذا الحديث الشريف ليس وحده هو العمدة في باب الحجاب وإنما معه من الآيات الشريفة، والأحاديث المنيفة، ما يجعله شاهد إثبات، ودليل تأييد، لا أصلاً منفرداً، ولو كان لصح الاعتماد عليه لما سبق من تحسينه. ولو أن علماء الحديث أطبقوا على تضعيفه، لما كان هذا حجة في نقض فريضة كالحجاب لها من الأدلة الشرعية ما عجز هؤلاء عن استيعابه، إذ أن حديثاً ضعيفاً في باب من أبواب الفقه لا يعني ردَّ كل الباب وإبطاله، وإنما ردُّ الحديث فقط الذي هو موضع الخلاف، وهو ما لم يكن.

٢. فيما يتعلق بالخمر:

زعم المبطلون أن القرآن الكريم حرَّم السُكر وليس الخمر. وهذا الزعم يثير الضحك؛ إذ السكر لا يتأتى إلا من الخمر، ولا يُتصوَّر السكر بدونه، وهو ما تعارف عليه الناس، ولا يفهم أي معنى من القول بأن الله حرم المسكر ولم يحرم الخمر إلا إرادة استحلاله، والتنكر لحرمته الصريحة في الكتاب والسنة.

والذي يتذرع به المتملصون من حكم الله ـ تعالى ـ في الخمر هو قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[المائدة: ٩٠]، ويزعمون أن لفظ التحريم لم يرد في الآية، لكن الذي غفلوا عنه أن لفظ الاجتناب يؤدي معنى التحريم إن لم يكن أشد، فقوله تعالى:((" فاجتنبوه "، يريد أبعدوه، فأمر الله ـ تعالى ـ باجتناب هذه الأمور، واقترنت بصيغة الأمر مع نصوص الأحاديث وإجماع الأمة، فحصل الاجتناب في جهة التحريم، فبهذا حرمت الخمر))([3]).

كما أنه لا يعني حلُّ الخمر في الجنة، حلُّه في الدنيا، فالخمر هنا مختلف صفة، وأثراً عنه هناك، والذي أحلَّه في الآخرة

---

(١) أظنه يقصد الحضور والوجود لا التواجد؛ لأن التواجد هو: استدعاء الوجد تكلفاً بضرب اختيار، وليس لصاحبه كمال الوجد، لأن باب التفاعل أكثره لإظهار صفةٍ ليست موجودة، كالتغافل والتجاهل. راجع: المناوي، التعاريف، ص٢١٢.

(٢) القرآن حرم السكر، وليس الخمر، والحجاب ليس من الإسلام، ولا يوجد ما يسمى بصحيح البخاري، كلام قاله: مصطفى راشد ـ خطيب بمسجد سدني باستراليا، انظر: http://www.bladi-bladi.com ، بحجم ملف: ١٦,٠ KB (16,384 bytes)، تم التحميل بتاريخ ٦/ ١٢/ ٢٠١٤، وراجع: هاني عثمان، وأحمد عرفة، رجال دين يهاجمون خطيب مسجد سدني، تحقيق صحفي بجريدة اليوم السابع، السبت ٦/ ١٢/ ٢٠١٤م. وراجع الفهم المغلوط فيما كتبه: حسن الترابي السوداني في الحجاب، انظر: موقع:/www.alwatanvoice.com ، حجم الملف المُحَمَّل ٩، ٤٧ KB، تم التحميل بتاريخ ٢١/ ١٢/ ٢٠١٢م. وراجع: كامل كامل، وأحمد عرفة، تقرير كتباه عن شريف الشوباشي، الذي قال: الحجاب إهانة للدين، انظر: جريدة اليوم السابع، بتاريخ: ٢٣/ ٥ / ٢٠١٥م، بدون بيانات أخرى.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٢٨٨.

سبحانه، هو الذي حرمه في الدنيا، إضافة إلى أن التكاليف في دار النعيم منعدمة، فلا معنى للاحتجاج بما يقع في الآخرة، وقياس أحكام الدنيا على ما هنالك.

٣. فيما يتعلق بصحيح البخاري:

((قالوا: إنه لا يوجد ما يسمى بكتاب "صحيح البخاري"، وأن التراث الإسلامي مليء بالأكاذيب. وأضافوا أن الإمام البخاري كان كفيفاً، ولا يجيد العربية، وجاء بعد الرسول بـ٢٠٠ عام، وأن الكتابة المطبوعة بدأت في عام ١٨٠٠م، والبخاري تواجد قبل ذلك الوقت بألف عام، ولا يوجد قبل ذلك الوقت مخطوطة بخط يد للبخاري. وأوضحوا أنه يوجد ٦٦٠ ألف حديث، الصحيح منهم٢٤٢٠ فقط متفرقين في عدة كتب بعضهم من البخاري وبعضهم من صحيح مسلم وابن ماجه.. إلخ)).

هذا الكلام اشتمل على كثير من الأكاذيب، والأغاليط، والافتراءات الواضحة، وأبان عن مكر، أو سفاهة، وجهالة فاضحة، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

أما القول بأنه: لا يوجد ما يسمى بكتاب: صحيح البخاري.

فالكتاب المطبوع بطبعات مختلفة، وأحجام متباينة في دول عديدة، المنقول من مخطوطات محفوظة في دور المخطوطات والمكتبات المعروفة، المرفوع على شبكة الانترنت في عصرنا الحاضر، المشروح من أكثر من عالم قديماً، وحديثاً، المتداولة مجلداته بين العامة والخاصة، المشهور ذكره في آفاق الدنيا، شرقها، وغربها، المتعاقبة على معرفته وحفظه الأجيال. كل ذلك يكذب هذا الكلام ويبطله([1]).

وأما القول بأن: التراث الإسلامي مليء بالأكاذيب.

فليس معنى وجود بعض الشوائب على الجوهر النفيس، أن نتنكر له، ونصفه بالمعايب، وهذا ما حدث مع التراث الإسلامي، فقد كال له الأعداء ومن دار في فلكهم التهم، ورموه بالكذب والضلال وهو ما تصدى له العلماء العاملون في محاولة جادة؛ لإزاحة ما علق به مما ليس منه، وتنقيته من الدخيل عليه([2]).

---

(١) هناك كثير من الطبعات منها ما هو متعلق بالمتن فقط، مثل:

أ. مختصر الإمام البخاري، الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط أولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

ب. الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسننه وأيامه، المطبعة السلفية، ط الأولى ١٤٠٠هـ.

ج. صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية للنشر، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

أو مما يتعلق بشروح المتن مثل:

أ. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

ب. شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تعليق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض.

ج. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ثانية١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

د. فيض الباري على صحيح البخاري، محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م. (٦ أجزاء).

هـ. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله. صلى الله عليه وسلم. وسننه وأيامه، البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط الأولى ١٤٢٢هـ،(٩ أجزاء).

(٢) خلَّف العلماء نفائس في هذا المضمار مثل:

وأما القول بأن: الإمام البخاري كان كفيفاً.

فلم يذكر أحد ممن ترجم للإمام البخاري . رحمه الله تعالى . أنه عاش كفيفاً، ولو صح ما كان ذلك قدحاً في علمه، أو ديانته، فالمرء بأصغريه قلبه ولسانه، والرجل قد اعترف بفضله، وعلمه القاصي والداني من العلماء الأفاضل الثقات، فليس العمى مذمّة، أو عار، وكم من أعمى سبق المبصرين وتفوق عليهم.

وأما قوله: لا يجيد العربية.

فهذا الكلام ينفيه فحول العلماء، وجهابذة الحديث الذين شهدوا بإمامته ولو كان به لكنة، أو ضعف في اللغة ما ارتضوه إماماً ومحدثاً، ولا قدموه على أنفسهم، وكتبه شاهدة على فصاحته، مثبتة لبلاغته، زاخرة بجزالة لفظه، وقوة عبارته وحسن حديثه. وكم من عربي الأصل لا يملك من أصول العربية شيئاً، ولا يدرك من قواعدها ما يقوِّم به لسانه، بل يتلعثم عند الحديث، ويتعثر عند الكتابة.

وأما قوله: جاء بعد الرسول بـ٢٠٠ عام، مشيراً إلى أن الكتابة المطبوعة بدأت في عام ١٨٠٠م، والبخاري وجد قبل ذلك الوقت بألف عام، ولا يوجد قبل ذلك الوقت مخطوطة بخط يد للبخاري.

ليس هذا الكلام من القوادح في الإمام، أو من نواقص مكارمه، فثقافة العرب الأقحاح كانت منقولة سماعاً، منتشرة شفاهة، يتحملون حفظاً، ويستلمون لفظاً، دون الحاجة إلى الكتابة والتدوين، فتوقد أذهان الناس، وحضور ذاكرتهم، وألمعية قرائحهم كانت تغنيهم عن الكتابة والتدوين، وحفظها في سجلات، بل إن الإنسان إذا لم يكن حافظاً للمكتوب الذي بين يديه، يعتبر ذلك نقصاً في قدره، وقدحاً في قيمته.

فالتدوين لم يكن معوَّلاً عليه عند العرب إلا قليلاً، وكان يُستخدَم في الغالب عند غياب الحفاظ، أو قلتهم.

وقد كثرت مدائح العلماء في الإمام ووصفهم لمناقبه الجمَّة بما يظهر إجماعاً من الثقات على علمه وإمامته، ويدحض كلام كل متعام عن حقيقة شخصيته الكريمة([1]).

وأما قوله: ((يوجد ٦٦٠ ألف حديث، الصحيح منهم ٢٤٢٠ فقط متفرقين في عدة كتب بعضهم من البخاري وبعضهم من صحيح مسلم وابن ماجه))

هذه ادعاءات لا دليل عليها من أقوال أهل الحديث وعلومه الذين أفنوا أعمارهم في خدمة الحديث وعلومه، وهم فقط الذين يُؤخذ بكلامهم في هذا الشأن ويُعتدُّ به، وقد وضع هؤلاء العلماء من القواعد المحكمة التي بها يتعرفون على الحديث، ويحكمون عليه من حيث الصحة، أو الحسن، أو الضعف، وكتب الحديث فيها الأنواع الثلاثة، ما عدا الصحيحين فقد حكم العلماء بصحة ما فيهما، وتلقتهما الأمة بالقبول والرضا.

أ . الإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة.

ب . الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة.

ج .كتاب بدع التفاسير، عبد الله محمد صديق الغماري، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

د . الأقوال الشاذة في التفسير نشأتها، أسبابها، آثارها، عبد الرحمن بن صالح بن سليمان الدهش، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م. وغير ذلك مما يجود به الزمان. وكتب التراث زاخرة بجهود العلماء في ذلك.

(١) راجع في أقوال العلماء عنه، ومدحهم إياه . رحمه الله تعالى: ابن حجر، تقريب التهذيب ٢/ ٥٥، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط الثانية ١٤١٥هـ. وراجع: ابن حجر، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٥، دار الفكر، بيروت ط الأولى، ١٤٠٤هـ . وراجع: الذهبي سير أعلام النبلاء، ١٢/ ٤٣١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط التاسعة ١٤١٣هـ.

٤. فيما يتعلق بالصحابي الجليل أبي هريرة . رضي الله عنه:

لم يسلم الصحابي الجليل أبو هريرة . رضي الله عنه . من افتراء المفترين، وسموم الحاقدين على الإسلام وأهله، فقد افتروا عليه ولفقوا على لسانه، وزعموا أن: ((الصحابي أبا هريرة قال بنفسه: أنا وضعت ٣٠٠٠ آلاف حديث من عندي، ولم يكونوا عن الرسول))

لا يعلم من أين أتوا بهذا الافتراء وذلك التلفيق الفج؟ ولمَ هذا العدد بالذات؟ وهل يمكن أن يصف إنسان نفسه بالكذب والوضع؟! إلا أن يكون من باب الضحك على عقول الناس والاستهزاء بهم، والتعمية على البسطاء؟!

هذا جانب من الافتئات على شرع الله تعالى.

ومنه أيضاً: اقتحام مجال الفتوى دون تسلح بالعلم النافع وانتشار الفَوضَى العَارِمَة فِي ذلك المجال، والافتراء على الشرع الحنيف، وقد انهمر سَّيل جَارِف مِن الفَتَاوَى مَجهُولة المَصدَّر عَلى صَفَحَات . النّت . وعَلَى رَسائِل الجَوَّالات، مِثل: فَتوَى نِكَاح الجِهَاد([1]).

بَل والفتاوى معلُومة المصدر أَيضاً الَّتي تُلاقي استنكَاراً من جَماهِير العُلماء، واستِغرَاباً شديداً مِن العَامَّة واستِهجاناً مِن العُقلاء، مِثل فَتوى ((مُضَاجَعَة الوَدَاع لِلزَّوجَة المَيّتَة، وَالَّتِي أَفتَى بِهَا المَغرِبِيُّ/ عَبد البَارِي الزَمزَمِيُّ([2]). حيث قَال: إِنَّ المَرأَة حَلال جِنسيًّا لِزَوجها حَتَّى بعد وَفَاتها، فَعَقد الزَّوَاج لَا يَنتَهي بالوفاة))([3]). وممَّا أَثَار بَلبَلة مُفزِعة حَديثًا القول بأن ((المَرأَة الحُرَّة يَجوزُ لَهَا أَن تُمَلِّكَ الرَّجُلَ نَفسَهَا مِلكَ يَمِينٍ، وَهَذَا يَدخُلُ فِي زَوَاجِ مِلكِ اليَمِينِ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَيهِ كَمَا زَعَمَ صَاحِبُ الفَتوَى، أَنَّ المَرأَة يَجُوزُ لَهَا أَن تَكشِفَ عَن شَعرِهَا وَأَن تَكُونَ ثِيَابُهَا قَصِيرَةً كَالإِمَاءِ))([4])، وَالأَكثر انفلاتاً على الإطلاق، وَخروجاً على ثَوابت الدِّين، القَول بإباحة زواج المسلمة بالكِتَّابِيّ([5])، ومن الفَتَاوَى المُستَنكَرة القَبِيحَة القول بِاسترِقاق النِّساء السُّورِيَّات فِي الحرب الدَّائِرة عَلَى أَرضها هذه الأَيَّام، ومُعاملتَهنَّ باعتبارهنَّ مِلكَ يَمِينٍ، قال صَاحب الفتوى:((إن شَاءَ اللهُ سَأُصَوِّرُ فِيدُيو أُبَيِّنُ فِيهِ جَوَازَ مِلكِ اليَمِينِ لِمَن أَفَاءَ اللهُ عَلَيهِ وَسَبَى فِي مَعَارِكِ الشَّامِ، فَلَهُ أَن يَمتَلِكُهُنَّ وَيَطَأَهُنَّ مِن غَيرِ صَدَاقٍ وَلَا زَوَاجٍ، وَعَلَيهِ أَن يُثبِتَ بُنُوَّةَ

---

(١) خبر بعنوان: ١٦ تونسية سافرن لسورية ومقتل "مجاهدة نُكاح " ليبية، راجع موقع: http://www.alsiasi.com، حجم الملف ٤٥,٥ K B، تم التحميل بتاريخ ٢٥/ ٤/ ٢٠١٧م. هذه الفتوى تَدعُو الفَتيَات لِدَعم المُقَاتِلِين، بِالزَّوَاج منهم لِعدَّة سَاعات.

(٢) عبد الباري الزمزمي: رئيس الجمعية المغربية للدراسات والبحوث في فقه النوازل، وهو عضو مؤسس في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وعضو مشارك في الحملة العالمية ضد العدوان. شغل منصب عضو في مجلس النواب المغربي، وكان النائب الوحيد المنتمي لحزب النهضة والفضيلة، ويعتبر من ألد أعداء العلمانيين والاشتراكيين في المغرب. والده هو العلامة المغربي محمد الزمزمي. راجع .wikipedia.org/wiki.، حجم الملف: ١٤٣ K B، تم التحميل بتاريخ ٢٥/ ٤/ ٢٠١٧م.

(٣) راجع موقع: www.gololy.com، تم التحميل بتاريخ٢٥/ ٤/ ٢٠١٧م. ، حجم الملف: ٦٩,٥ K B

(٤) قال ذلك، وقام به رجل يوصف بالداعية الإسلامي ويعمل مهندساً، ويسمى/ عبد اللطيف عون، راجع المجلة العربية، بتاريخ ٢٥/ ٤/ ٢٠١٧م. في الموقع: http://www.alarabiya.net

(٥) قائل هذه الفتوى: حسن الترابي السوداني، انظر موقع/www.alwatanvoice.com ، حجم الملف المُحَمَّل ٤٧ ,٩ KB، تم التحميل بتاريخ ٢٥/ ٤/ ٢٠١٧م.

المَولُودِ لَهُ مِنهَا فِي الدَّوَائِرِ الشَّرعِيَّةِ))([1]). وَهَكَذَا أفرزت فتن الشبهات التي عمت بلاد المسلمين مثل هذه الافتراءات، والكذب على شرع الله . تعالى . وهي مع خبثها، تجد لها أَسماعاً وتضم إليها أشياعاً. وهذا يوضِّح مدى الضَّلال الفكريّ والضياع القِيَمِيّ بسبب الفتن التي تعم الناس.

الأثر الثاني: اختلال الأمن وانتشار الفواحش والمنكرات:

يتربص الأعداء بالبلاد الإسلامية فيستخدمون السذج من أبنائها؛ لتنفيذ مخططهم الخبيث في تفكيك عُرى الوحدة بين المسلمين، فيبثوا الشبهات؛ لتحل الفتن عندئذ وينفك السياج الأمني، وتنكسر دائرته، ويكثر القتلى، وتنتشر اللصوص، وتكثر السرقات، ويفزع الناس، وتتصدر الفوضى المشهد، وقد شهدت بلاد الربيع العربي منذ ٢٠١١م، هذه الفوضى، وتمكن الخوف من قلوب أهلها فزعاً على أنفسهم، وما يملكون، أو على بلادهم وما يستوطنون، وهذا يحدث في الغالب؛ لأنَّ العَوامَّ من الدهماء فِي الثَّوراتِ والفتن يتركون لأنفسهم العنان فينطلقون من الشهوة التي كانت مكبوحة بالخوف من العقوبة والفضيحة من الناس، فيندفع الفاسدون منهم إلى نشر خبائثهم وممارسة رذائلهم، والعبث بحدود الله . تعالى.

الأثر الثالث: كثرة القتل والاغتيالات وإحداث العَاهَاتِ: :

في أيام الفتن تَكثُر الرَّايات، وتَعلُو الأَصوات، ويُعتمد على الشبهات في استصدار الأحكام، وتظهر الأحقاد، ويسيل الغل منساباً من القلوب السوداء، مكتسحاً طهارة الصدور وسلامتها، ويُشهَر السلاح في وجوه الناس، وتمتلئ الأرض بالجبناء الذين يقتلون غيلة، ويلتمسون لذلك كل حيلة، على الأَخص إِذَا لَمْ تَكُن المُجتمعاتُ نَاضجةً فِكرياً إِلى الحَدِّ الكَافِي وملتزمة دينياً بالقدر الذِي يَعصِمُ دماءهم وأَموالهم إلا بحقها. يبين النَّبِيُّ . صلى اللهُ عليهِ وسلّم . ذلك بقوله: ((يُقْبَضُ الْعِلْمُ وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتَنُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ))([2]). وقد حدث ذلك فِي الفتن التي اندلعت في عهد الدولة الإسلامية على مر عصورها.

والمتدّبر للثورات الحَديثة، ومُجريَاتها يُرَوِّعُه أعدادُ القَتْلَى والمُنْجَدِلِين مِن جَرَّاء ذلك، الّذين سُجِلُوا فِي الدَّفاتر الرّسْمِية، بخِلافِ مَا لَمْ يَعْلم عنه أحدٌ شَيئاً، وذَهَب إِلى ربِه في سِر وكِتمان.

بخلاف الأحداث الأخيرة، والمواجهات بين الحوثيين وقوات التحالف العربية، وفيها تتساقط يومياً عشرات القتلى من أهل اليمن، سواء كانوا من الحوثيين ومن حارب في صفهم، أو من غيرهم، أو من قوات دول التحالف، ولا يمكن التكهن بمعرفة عدد القتلى المتزايد إلا بعد وقف إطلاق النار واستقرار الأمور.

. ومما لا شَك فإنَّ عدد القتلى فِي ازدياد حتَّى استقرار البلاد وانتهاء آثار الثَّورات والاضطرابات، وعودة دِرع الأَمْن إلى صَدر الأَوْطَان، ويكفي بُؤساً وشُؤمَاً بأيَّام الفتن والثّورات مَقتل الصَّحابَة الأَجِلاء: عثمانَ، وعليٍّ، والحُسينِ رَضيَ اللهُ عنهُم وأَرضَاهُم، والأرواح المؤمنة الطاهرة التي تزهق بلا ثمن وتضيع سدى، ولا يعلم القاتل فيما قَتل، ولا المقتول فيما قُتل مما يُثلِج صدر العدو، ويُقِرُّ عينه.

ومن المعلوم أنه فِي ظلِّ الزِّحام الشديد الذِي تَئِطُ منه أرضُ الفتن، وتَئِنُ مِنه سَاحات المُعتَصمِين، وتجتمع حشود الناس، متزاحمة، تضيق منهم الاتساعات، وتنفجر من كثرتهم المساحات، وتحدث التصرفات العشوائية، أو المتعمدة التي تُلحِق الضَّررَ

---

(١) قائل هذه الفتوى: ياسين العجلوني الأردني، راجع صحيفة جازان نيوز، الصادرة بتاريخ ٢٥/ ٤/ ٢٠١٧م، وموقعها على الشبكة http://www.jazannews.org.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، رقم:٨٥، انظر: صحيح البخاري ١/٤٤.

بالآخَرين، وتَسِمُهُم بكثير من العَاهات المختلفة، وتُخلِّفُ معها آهاتَ التندُّم ودموع التَّحَسُّر، ولوعة الأسى، مَا لمْ يَكُن المُصابُ من المُحتَسبينَ المستبصرين، وقد خرج بصدق على حق أقره عليه الثقات من العلماء الأثبات. وهَذا واضحٌ فِي قَديم الزمان وحَديثه، ففي صدر الدولة الإسلامية الأول وقع مثل هذا بالناس، فعلى سبيل المثال: ((لَمْ تُرَ وقعةٌ أكثرَ من قطعِ الأيدي والأَرجلِ فِيها مِن وقعةِ الجَمَلِ، ويُقالُ إنّهُ قُطِّعِت يدُ سبعينَ رَجُلاً، عندما كانت آخذةً بخِطَامِ الجَملِ، خَوفاً عَلَى أمِّ المُؤمنينَ عائِشةَ . رَضي اللهُ عنها . وقَد فَقَأَ بَعضُهُم عَيْنَ عَدِي بنِ حاتمٍ(١) ذلكَ اليَومِ))(٢). ومَا حَدَث فِي الثَورات العَربية الحَديثة وما تأبطها من شر، مَشهورٌ مَعروفٌ، وذلك مثل قَطعِ بَعض الأَطراف، وفَقْأِ الأَعينِ، وكسور، وحروق، وغَيرِ ذَلك مِمَّا يُخلِّفُ ورَاءَه جَيشَاً مِن المُعَاقين العَاجِزين عَن الكَسب والعَمل.

الأثر الرابع: التغرير بالناشئة والشباب:

يراهن دعاة الفتن على استمرارها وبقائها مستعرة، وذلك بجرجرة الأغرار من الناشئة وصغار السن، والزجِّ بهم في أتون الفتن ولأوائها؛ إذ إنهم أقل مجادلة في الحوار، وأسهل انقياداً عند الأمر، وأكثر اندفاعاً وأسرع عند التنفيذ، وأرضى عند المال بالأجر القليل. ويتوهمون قداسة ما يقومون به، وأهميته القصوى، ويتصورون أنهم يؤدون أعمالاً بطولية، سوف يسطرها التاريخ لهم بحروف من نور، وسوف تكتب أسماؤهم بجانب أسماء الأبطال المغاوير، الذين غيروا مجرى التاريخ، وقدَّموا للبشرية الشيء الكثير.

والناظر في الأحداث الأخيرة للدول العربية، يرى أن الناشئة الصغار كانت تستغل في الأغراض السياسية استغلالاً واضحاً؛ لتكثير السواد، وتفعيل الأحداث، وترقيق القلوب، واستدرار العطف من المحافل الدولية، وتزيين الأفعال بالبراءة والطهر بوجود هؤلاء البرآء، وإثارة الحماسة في قلوب المترددين عن الإقدام المتريثين في اتخاذ القرار، واستصغار النفس عند التقاعس وعدم اللحاق بالركب.

وهؤلاء الصغار قد لا يدركون في الأعمّ الأغلب سبب خروجهم، والعلة من بقائهم في محيط الأحداث، والأهداف التي يجب الوصول إليها، ولا يفهمون في الأغلب ماذا يرددون، ولا إلى من يوجهون الشعارات المرفوعة، والاعتراضات محل الخروج والتظاهر أو الثورة، ولا يقاس ذلك على بعض الصحابة صغار السن(٣) الذين كانوا يخرجون مجاهدين؛ وذلك لعصمة القائد من الخطأ آنذاك عليه الصلاة والسلام، ووضوح الهدف دون لبس أو غموض، وقدرة الصحابي الشاب على التميز والاختيار دون ضغوط.

ولو كان الاعتراض واجباً والخروج حتماً على المكلفين، فالصغار والأطفال والنساء خارجين عن هذا التكليف، وذلك لعدم محله في الأطفال، وللمفاسد الكبرى عند خروج النساء؛ إذ في الرجال غنية عن خروجهن، وكفاية عن عنائهن. وينشأ الصغار على ذلك ويستسهلون الفوضى والمخالفة، وتأخذهم الحماسة لاقتحام عظائم الأمور دون نظر في عواقبها فيسهل عندئذ التغرير بهم وفي ذلك إرضاء لغرورهم.

---

(١) الصحابي الجليل: عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي . رضي الله عنه . من الأجواد العقلاء. ابن حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل، لم يعرف عام ولادته، وتوفي سنة ٦٨هـ، كان رئيس طيء في الجاهلية والإسلام. أسلم عام ٩هـ، شهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة وشهد الجمل وصفين والنهروان مع عليٍّ. عاش أكثر من مئة سنة. انظر: الأعلام ٤/ ٢٢٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ٧ / ٢٧٠، ٢٧٢.

(٣) كابن عمر، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص، ومعوذ ومعاذ ابنا عفراء.

الأثر الخامس: التطاول على القامات وإهدار القيم:

من الآثار السيئة والخطيرة التي تفرزها الفتن، وتتمخض عنها المحن التي تحل بالبلاد، وتعم العباد، سوء الأدب والتطاول الفجُّ على القامات العلمية والشخصيات الدينية وإهدار القيم والمبادئ أمام تيار الاندفاع والتهور، والتعامي عن منازل الناس وأقدارهم، والتَجَرؤ عليهم، وتسفيه أحلامهم، والسخرية من أفكارهم وإهانَتهم، دون مراعاة لفضلهم أو مكانتهم. ومِن ذلك مَا حَدَثَ في حق أمِّ المؤمنينَ أمِّ حَبيبةَ . رضيَ اللهُ عنها . عِندمَا ((جَاءَت عَلَى بَغلةٍ لَها، فقِيلَ: أمُّ المُؤمنينَ . أمُّ حبيبةَ . فضَربُوا وجّهَ بَغلتِهَا، فقَالت: إنَّ وَصايَا بَني أُميّةَ إلى هَذا الرَّجلِ، فأَحبَبتُ أنْ أَلقاهُ، فأَسْأَلَهُ عَن ذلكَ، كَيْلا تَهلِكَ أَموالُ أَيتامٍ وأرامِلَ، قَالوا: كاذبةٌ، وأهْوَوا لَها، وقَطعُوا حَبلَ البَغلةِ بالسَّيفِ، فنَدَّتْ بأُمِّ حبيبةَ، فتلقَاهَا النَّاسُ وقد مَالَت راحِلَتُهَا، فتعلقُوا بِها وأَخَذُوهَا، وقَدْ كَادَتْ تُقتَلُ، فَذَهَبُوا بِهَا إلى بَيْتِهَا))([1]). وفي الحاضر ما نسمع به من تطاول أهل الفهاهة والغي على بعض الصحابة الأجلاء، والسادة العلماء، كسيدنا أبي هريرة . رضي الله عنه . وكالإمام البخاري . رحمه الله تعالى . وغيرهما من العلماء المعاصرين، وأهل الصلاح، يتخذونهم غرضاً يرمى، سباً، واستهزاءً، وانتقاصاً من حقهم، وتسفيهاً لآرائهم، وتشويهاً لصورهم، وحطاً لأقدارهم، كما أن الأزهر الشريف على جلالة قدره وجهاده المتواصل المبرور، وجهده المبذول المشكور، وتاريخه المشرف وعلمائه المخلصين الأبطال المغاوير، لم ينجُ من تطاول الأقزام عليه، وإخوة الضلال والسفه، وتنكرهم في ثوب الوعظ والإرشاد والتوجيه والتنوير، على الأخص في أيامنا هذه، وهذا كله من آثار الفتن ونتائجها على المجتمعات.

الأثر السادس: كثرة الفِرَقِ والتحزبات وادعاء التفرد بالمرجعية:

إن وجود أحزاب متصارعة، وفرق متناحرة، وتيارات فكرية متباغضة يهدم بعضهم بناء بعض، ويثبط بعضهم همم بعض، لا تعرف أدب الخلاف، ولا تؤمن بالحياد والإنصاف، هو نتاج طبيعي للفتن المظلمة التي تنبثق في زواياها، وتخرج من رحمها في جنح ليل بهيم لا ترى إلا نفسها، ولا تسمع إلا صوتها، ولا تعرف إلا رأيها، وفي خضم هذه العثرات ينبري كل فريق أو تيار مدعياً أنه يمتلك الحقيقة المطلقة التي لا تقبل النقاش، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، كأنها وحي يوحى تنزلت من حكيم حميد، فيصطدم مع المخالف ويزدريه، ولا يرى مرجعية إلا قوله، أو فصلاً عند الاختلاف إلا حكمه، والصواب عِنده، والخَطَأ كلَّ الخَطَأ مَع البَاطل المَحض، والتخبط الأعمى فِي الجَانب الآخر، وهو أثر بغيض من آثار الفتن، ونتيجة هادمة من نتائجها، التي تجنيها البلاد، ويتجرع مرارتها العباد، وتزداد الفوضى بوجود هذا الوهم في أذهان ذويه، ويفتح الباب أمام قوى الشر الخارجية للتدخل في شؤون بلاد المسلمين ونهب ما تبقى من ثرواتها، فتنحدر بوجودهم البلاد، وتهوي بهم في مكان سحيق.

وقد يظهر هذا بوضوح في البلاد التي لا يرقى المتصارعون فيها إلى إدراك خطورة ما يقومون به، ونتائج ما يصدر عنهم. وهو ما يحاول المخلصون التصدي له عند اغبرار سَماء البلاد بالفتنِ وتلاطم أمواجها بالشدائد.

الأثر السابع: ظهور الرويبضة على الساحة:

من آثار فتن الشبهات انتشار هذا النوع من الناس، الذي يتصدى للحديث عن القضايا الخطيرة، وقد خرج هذا النوع في غياب العلماء وبعدهم عن واجبهم في التوجيه والإرشاد.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٦٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى١٤٠٧هـ.

وَالرُّوَيبِضَةُ: ((تصغير الرَّابِضة وهو: العاجز الذي رَبَضَ عن مَعَالي الأمُور وقعَد عن طَلَبها، وزيادة التَّاء للمبالغَة))([1]). وهو أيضاً: ((الرَّجُلُ التَّافِهُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِي أُمُورِ النَّاسِ العَامَّةِ))([2])، كَمَا قَرَّرَ ذَلِكَ النَّبِيُّ الكَرِيمُ . صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ . مُعَرِّفَاً كَلِمَةَ الرُّوَيبِضَةِ، بِقَولِهِ: ((تَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ جَدِعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهِمُ الرُّوَيبِضَةُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الرُّوَيبِضَةُ ؟ قَالَ: الرَّجُلُ التَّافِهُ، يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ))([3]). وهذا النوع قد انتشر في هذه الآونة الأخيرة انتشاراً واضحاً، وظهر بقوة في كثير من وسائل الإعلام.

الأثر الثامن: تشويه صورة الإسلام وتعطيل أحكامه:

يستغل الأعداء وقوع الفتن بين المسلمين استغلالاً سيئاً؛ فيبثون من خلالها سمومهم، وينفثون أحقادهم الكامنة في صدورهم تجاه الدين وأهله، وذلك بتشويه صورة الإسلام والتنفير من المسلمين، وإلصاق ما يقع فيه الناس من انحرافات فكرية، وما يرتكبونه أحياناً من مخالفات سلوكية بالإسلام؛ فتقل الثقة بالدين، وتتهم أحكامه المعصومة بأنها قاصرة عن استيعاب الأحداث، والتعامل معها، عندئذ تنبري طائفة أخرى من المتربصين به، الحاقدين عليه ينادون بإقصاء الشريعة، وتنحيتها جانباً، متهمين إياها بالتخلف، والرجعية، والفظاظة، وعدم مواكبة العصر ومناسبتها له، فهي بنت الأمس وليس لها في حياة الناس اليوم مكان، كل ذلك بسبب انتشار الفتن بين المسلمين، وإفساح المجال لها لتنمو بينهم.

الأثر التاسع: ضياع البلاد الإسلامية وزوال حكم الإسلام عنها:

عندما تتحكم شهوة السلطة في القادة، ويتمسكون بها دون مراعاة لحدود الله، يقدمون التنازلات المروعة من حقوق الشعوب ومقدراتهم، وتتناثر بلدانهم، وتتساقط في أيدي المستعمرين ويتوقف عمرانها، ويتبعثر نظامها، ويرضون بما يمنّ به عليهم أعداؤهم ويستبدلون بذلك الاجتماع الإسلامي والقوة الواحدة، ويرغبون في ذلك أو يرغمون عليه، وأصبحت الدولة الإسلامية دولاً أو دويلات، وعدا الاستعمار ينهش في لحم الدولة الإسلامية يجتزأ منها ما استطاع ويضمها إلى سلطانه، ثم انفلت منها ما استطاع التفلُّت من تحت يديه بعناء ومشقة، وبقي منها تحت عدوانه ما يجلب العار على المسلمين، ويسمهم بالذلة والصغار، وذلك مثل الجولان بسوريا، ودولة فلسطين التي ما زالت ترزح تحت نير الاحتلال اليهودي وتكتوي بنيرانه حتى اليوم، والأندلس التي ضاعت تماماً من أيدي المسلمين، وجنوب السودان التي أصبحت دولة مسيحية، منفصلة عن شماله، لها حدودها وحكومتها، ونظامها، بعد أن كانت في قبضة المسلمين حتى وقت قريب.

الأثر العاشر: الوقوع في الصفات الذميمة.

من آثار فتن الشهوات حب الولد حباً يعميه عن فروض عليه، ويخرجه عن حدود الفطرة السوية، عند ذلك تظهر عليه بوضوح صفات ذميمة تكون ديدنه، وإن كانت عند غيره، منها: البخل والجبن، كما قال . صلى الله عليه وسلم . عن الأولاد: ((إِنَّهُمْ لَمَجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ، إِنَّهُمْ لَمَجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ))([4]). وكما قال عليه الصلاة والسلام: ((إن الولد مبخلة مجهلة محزنة))([1]). وقد زاد

---

(١) أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٤٦٠، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٢) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ٣٦ / ٣٥٦.

(٣) أخرجه الحاكم، رقم:٨٤٣٩، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص: صحيح. المستدرك ٤/ ٥١٢.

(٤) أخرجه أحمد في المسند رقم: ٢١٨٨٩، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف،انظر المسند ٥/ ٢١١.

هنا الجهل والحزن فمجموعها أربع صفات؛ وذلك لأن حب الوالد لولده الحب الزائد، يظهر فيه هذه الصفات بشكل ملحوظ، وهي:

أ . الجبن: فلا يقدم بجسارة خوفاً على ولده من اليتم. ب . الحزن: فهو دائم الانشغال به يتأثر بما يصيبه.

ج . البخل: فيمسك يده ليدخر له. د . الجهل: فيتقاعس عن طلب العلم تفضيلاً للبقاء معه.

إلا أن الإنسان ينبغي أن يقاوم ذلك، ولو كان الصحابة الأجلاء قبل إسلامهم يلتفتون إلى أولادهم وذويهم ويفضلونهم على الهدى والنور، ويقدمون وشائج القرابة والميل الفطري، على حب الله ورسوله؛ لأضعف ذلك من إصرارهم، وردَّهم عن الخير الذي طلبوه، ولم يكن حالهم هذا الحال المشرِّف الذي عاشوا به وماتوا عليه.

الأثر الحادي عشر: الوقوع في أخطار الحُبّ الشديد للمال وأضراره.

لفتنة المال آثار وأخطار يمكن أن يقع فيها من لم يعصمه الله تعالى، ومن ذلك:

١. ضياع الكليات الخمس:

جاء الإسلام بحفظ الكليات الخمس(الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض)، وحرم الاعتداء عليها، والمتدبر يرى أن الوقوع في فتنة المال سبب لضياع هذه الكليات، فخطر الفتنة بالمال على الدين ظاهر، فهي سبب في نقصانه، وقد أخبر بذلك النبي الكريم فيما يرويه عنه أبو هريرة . رضي الله عنه . عندما قال صلى الله عليه وسلم: ((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا قَلِيلٍ))(٢).

وكذلك خطر الفتنة بالمال على النفس، فكم من نفس قتلت بسبب المال، بل قد يتعدى الأمر الصورة الفردية إلى القتل الجماعي، فتقوم الحروب بسبب نزاع معين على نوع من أنواع المال.

وأما ضياع العقل فمن بعض أسبابه: الفتنة بالمال، كأن يتعرض الإنسان إلى خسارة مالية كبيرة فيكون ذلك من أسباب ذهاب عقله، واختلال تفكيره، إذا كان شديد التعلق به، شغوفاً بجمعه، حريصاً عليه.

أما ما يتعلق بضياع العرض، فهناك علاقة بين التفريط في العرض وطغيان حب المال على القلب، فبعض النساء يمتهن البغاء من أجل المال، دون مبالاة بالدين، والشرف، والكرامة. ومن الرجال من يبيع دينه ويفرط في عرضه، ويتجرد من رجولته، ويتاجر بشرفه، فيصبح ديوثاً كالح الوجه مذموماً، أو يعمل في محيط هذه الدائرة الخبيثة فيكون قواداً ساقط المروءة لئيماً؛ وكل ذلك لكسب المال الحرام، والتزود منه.

كما يعمل المفتونُ بالمال على ضياع أموال الغير بالسطو، أو السرقة، أو الغش، أو الاحتيال، وغير ذلك.

وأما كون الفتنة بالمال سبباً في تضييع النسل، فذلك بانشغال المفتون بماله عن ذريته ورعايتهم مما يؤدي إلى انحرافهم وفساد أحوالهم. وقد يكون ذلك بالوقوع في الحرام؛ فراراً من تبعات الرجولة وواجبات الزوجية والأبوة.

٢. ومن آثار فتنة المال وأضراره: الوقوع في الكبر والخيلاء:

يكون المال سبباً في الفخر والخيلاء والتكبر على الناس، والطغيان عند من يفتتن به يقول سبحانه وتعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى * ﴾[العلق:٦، ٧]، وقد كان قارون مثالاً واضحاً لمن فتن بالمال، فتاه فخراً وخيلاءً قال

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك رقم: ٤٧٧١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وقال مصطفى عبد القادر عطا: سكت عنه الذهبي في التلخيص، انظر: المستدرك ٣/ ١٧٩.

(٢) أخرجه أحمد في المسند رقم: ٨٠١٧ ، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، انظر: المسند ٢/ ٣٠٣.

تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾[القصص: ٧٨].

٣. من عواقب الفتنة بالمال: أكل أموال الناس بالباطل ويتمثل في النقاط الآتية:

أ . أكل الربا:

إذا فتن الإنسان بالمال كان سهلاً عليه أكل الربا الذي حرَّمه الله تعالى بقوله:﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾[البقرة: ٢٧٥]، وعندئذ تعلن عليه حرب لا قِبَل له بها، قال سبحانه: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾[البقرة: ٢٧٩]. وقد عدَّ النبي الكريم الربا من الموبقات، فقال:

((اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يا رسول الله: وما هن؟ قال الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات))([1]).

ب . أكل أموال اليتامى:

قد لا يتورع المفتون بالمال من أكل أموال اليتامى، وقد جاء التهديد والوعيد على ذلك بقوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾[النساء: ١٠].

ج . استغلال الوصايا والأوقاف الخيرية:

يستغل بعض المفتونين الأوقاف الخيرية العامة في المصالح الخاصة، ويحرصون على الانتفاع بها؛ بسبب أطماعهم، وحرصهم على المال والازدياد منه، ولقد فُقد كثير من هذه الأوقاف ونهبت أصولها في بعض البلدان الإسلامية بسبب طمع الطامعين، ونهب المال العام.

٤. منع الزكاة، والبخل في التطوع:

تصل شدة الحرص على المال والفتنة به، لدرجة منع ما أوجب الله تعالى من الزكاة، ولقد جاء الوعيد الشديد لمانعي الزكاة بالعذاب الأليم، مثل قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[التوبة: ٣٤، ٣٥]. كما أن الفتنة بالمال تصدُّ صاحبها عن الإحسان إلى المستحقين، وهو ما يوقعه في الذم والمنقصة، قال تعالى:﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[التوبة: ٧٥: ٧٧].

الأثر الثاني عشر: الوقوع في الكبائر، وضياع الكرامة، وسوء الخاتمة:

تؤدي الفتن عامة وفتنة النساء خاصة إلى وقوع الكبائر، وسقوط الكرامة، وسوء الخاتمة وتفصيله كما يلي:

١. تسلط الشهوة والوقوع في الفاحشة:

إن افتتان الرجل بالمرأة لا يجعله يصبر عنها، ويبقيه دائماً متطلعاً إليه، غير مكتف بما أحلَّه الله . تعالى . له، مما يجعله عرضة لارتكاب الحرام، وإدمان الآثام، وبذلك يخطو خطوات سريعة نحو النار. لَمَّا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّم عَنْ أَكْثَرِ مَا يَلِجُ بِهِ الإِنْسانُ النَّارَ قال: ((الأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرَجُ))([1]).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[النساء: ١٠].رقم: ٢٦١٥، انظر: صحيح البخاري٣/١٠١٧.

٢. قتل النفس التي حرم الله:

تؤدي الفتنة بالنساء إلى قتل النفس، وسفك الدم الحرام، ويدل على ذلك قتل سيدنا يحيي . عليه السلام . على يد الملك الذي أراد أن يتزوج بنت امرأة له، فنهاه عنها، وقال: إنها لا تحل لك، فحقدت أمها على يحيى . عليه السلام . وجمَّلت ابنتها، ولما أرادها الملك امتنعت حتى يأتيها برأس يحيى، ففعل(٢).

٣. سقوط الكرامة:

إن الفتنة بالنساء تؤدى إلى سقوط كرامة الرجل وضياع مروءته، وفي هذه الواقعة بيان لهذا المعنى مع الرجل الذي دعا عليه سيدنا سعد، فافتتن بالنساء، فأدَّى ذلك إلى تعجب الناس من فعله وسقوط كرامته بينهم.

((عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ . رضي الله عنه . فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا، حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ. قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ. فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً، أَوْ رِجَالاً إِلَى الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلاَّ سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ، يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ، قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ. قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ))(٣).

٤. الافتتان بالنساء من أبواب سوء الخاتمة:

إن الإنسان إذا وقع في فتنة النساء فإنه قد يلج الباب الذي يصل به إلى سوء الخاتمة، كما حدث مع راهب بني إسرائيل الذي استدرجه الشيطان حتى فُتن بالفتاة التي تركها إخوتها في بيت له حتى يرجعوا من جهادهم، وقد انتهى به الأمر إلى الكفر بالله بعد وقوعه في الفاحشة، مع هذه الفتاة(٤).

كما تبين أيضاً هذا المعنى القصة المشهورة للمؤذن الذي افتتن بفتاة نصرانية فأراد أن يتزوجها فامتنعت حتى يرتد عن دينه إلى دينها . والعياذ بالله . ففعل ، ومات قبل أن يصل إليها(٥). من كل ما سبق يعلم أن الفتن بقسميها . الشبهات ، والشهوات . لها آثار مخيفة على المستوى الفردي والجماعي، يضيع معها الإنسان المفتون ويهلك فيها، وينجو من عصمه الله تعالى من أضرارها.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند رقم: ٩٠٨٥، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن بالمتابعات، انظر: المسند ٢/ ٣٩٢.

(٢) راجع في ذلك القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢١٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها رقم: ٧٢٢، انظر صحيح البخاري ١/٢٦٢.

(٤) راجع في ذلك: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٨/ ٧٦.

(٥) راجع الأشبيلي، العاقبة في ذكر الموت، ص ١٣٤، دار الأقصى، الكويت، ط أولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. وراجع: قصة رجل كان من المجاهدين في بلاد الروم فتنصر بسبب امرأة جميلة، ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/ ٧٤، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

الفَصلُ الثَّالِثُ:

علاج الفتن والوقاية من آثارها السلبية في ضوء الإسلام.

المَبحَثُ الأَوَّلُ: التدابير اللازمة للوقاية من الفتن قبل وقوعها.

إن الفتن إذا نزلت عمت كل الموجودين، وإذا اشتدت أهلكت جميع المفتونين، والفتنة في ذلك مثل العذاب الذي يحلُّ بجماعة فلا يفرق بين الناس، قال صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِم))(١)؛ لذا ينبغي أن يكون الإنسان على حذر، وأن يعمل متضامناً مع غيره، لوقاية نفسه من الفتن، وتجنب آثارها وشرورها، والإسراع في الخروج منها. ويمكن بيان التدابير اللازمة للوقاية من الوقوع في الفتن، وتجنب نزولها بالبلاد والعباد، وذلك من خلال ما يلي:

١. طلب العلم من مصادره المعتمدة.

للوقاية من الفتن وأضرارها الجسيمة يجب أن يغرس في الأجيال منذ نعومة أظفارها التحذير من مخاطر الفتن ومغبة الاستهانة بها، وأن يتعلموا كيفية تجنبها والبعد عنها، وأن يشغل ذلك حيزاً معتبراً من العملية التعليمية، والمقررات الدراسية، فالجهل بالفتن، والغفلة عنها يوقع فيها، ويفسح المجال لقدومها، ومثال الأحداث التي تجلب الفتن أشراط الساعة، وقد ربط النبي الكريم بين وقوعها، وبين الجهل بها، فقال صلى الله عليه وسلم: ((يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ. قَالُوا وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: الْقَتْلُ))(٢)، فالعلم الشرعي بذلك مطلب مهم من المطالب التي يجب أن تتوفر؛ حتى لا يقع الناس في الفتن، ويموجوا فيها، ويتجرعوا مرارتها، فلا تستجلب الفتن إذن وتكثر، إلا إذا فشا بين الناس الجهل، وقلَّ العلم. وأكثر من يقع في الفتن هم الجهلة من الناس؛ ولأجل ذلك يجب تعليم الناشئة الصغار وتوجيههم بخطورة الفتن من خلال المُؤَسَّسَات التعليميَّة المُعدَّة لذلك، كالمدارس، والمعاهد، وَالجَامعَات، فهذه المؤسسات مَعنِيَّة بِتَخرِيج فِئَات من الناس، مِن المُفتَرض أَنَّهُم سَيَملِكُون زِمَام الأُمور، ويُوجِّهُون دَفَّة البلاد فِي المُستَقبَل نحو الخَير والرَّشَاد، ويكونون حائط صد وخط دفاع للوقاية من الفتن والفوضى.

٢. الاعتصام بالكتاب والسنة:

الاعتصام بالكتاب والسنة من الأمور التي تقي الإنسان من اقتحام المهالك والولوج في منعطفات الفتن، وهي تضرب بين الإنسان وبين هذه المهالك حجاباً مستوراً، وهذا هو الطريق القويم، قال تعالى:﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[آل عمران:١٠١]. وقال عليه الصلاة والسلام، يما يرويه عنه ابن عباس . رضي الله عنهما :((يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))(٣).

والاعتصام بالكتاب والسنة يعني التمسك بهما والعمل بمقتضاهما، وهما يمنعان الإنسان من الوقوع في الفتن، سواء كانت فتناً عامة، أو خاصة، شبهات أم شهوات.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب إذا أنزل الله بقوم عذاباً، رقم: ٦٦٩١، انظر: صحيح البخاري ٦ / ٢٦٠٢.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، رقم:١٥٧، انظر: صحيح مسلم ٤/ ٢٠٥٦.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: احْتَجَّ الْبُخَارِيُّ بِحَدِيثِ عِكْرِمَةَ وَاحْتَجَّ مُسْلِمٌ بِأَبِي أُوَيْسٍ وَسَائِرُ رُوَاتِهِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِم، رقم: ٣١٨، انظر: المستدرك ١/ ١٧١.

فالاعتصام بالكتاب والسنة يحفظ البلاد من القتل العشوائي، والدسائس المختلفة، وإفساد مرافق الدولة وممتلكاتها، أو يقلّل منها إلى الحد الذي لا يذكر. كما أن الاعتصام بهما يقي الإنسان من الفتن الخاصة، كفتنة المال، والولد، والنساء، ويقدم الاحتياطات اللازمة لعدم الانزلاق فيها، والغواية بها، والهلكة في متاهاتها.

ففي التعامل مع المال:

إن الاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بهما، يلزمان المرء القناعة ويوقفان جشع النفس؛ فيصل إلى الشكر، قَالَ رَسُولُ اللهِ. صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ . ((يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا، تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ))(١)، وذلك ((لأن العبد إذا قنع بما أعطاه الله رضي بما قسم له، وإذا رضي شكر فزاده الله من فضله جزاء لشكره، وكلما زاد شكراً ازداد فضلاً))(٢). كما أن الاعتصام بهما يحض الإنسان على تحرى الحلال في كسبه، والبعد عن المحرمات، واتقاء الشبهات؛ لعلمه أنه مسؤول يوم القيامة عن ماله ، قال صلى الله عليه وسلم: ((لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ، عن عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أبلاه))(٣). ولا يمنع ذلك أن يسأل المزيد من فضل الله سبحانه، وأن يسعي لتحصيل ذلك، وفي طريق سعيه واجتهاده راض بما يصل إليه.

وبذلك يحفظ الإنسان نفسه من فتنة المال ولا يقع فيها.

وفي التعامل مع المال أيضا يوجب الاعتصام بالكتاب والسنة تحري الحلال:

قَالَ عليه الصلاة والسلام: ((لا تَزُولُ قَدِمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عَلِمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟))(٤).

وكذلك عدم التطلع إلى ما في أيدي الناس:عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُو أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ))(٥).

وفي التعامل مع الولد:

حرص الدين الحنيف على أن يكون الولد مصدر فرح وسرور لوالديه في الدنيا والآخرة، لا أن يكون فتنة لهما يردهما عن الطاعة والاستقامة، ورسم لذلك طريقاً واضحاً للوصول إلى الولد الصالح؛ وذلك منذ ولادته، بل من قبل ولادته، وبذلك جاء الوحي الشريف، قال صلى الله عليه وسلم:((تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))(٦).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: ٤٢١٧، وإسناده حسن. انظر: ٢/ ١٤١٠، وراجع: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه٤/ ٢٤٠، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، ١٤٠٣هـ.

(٢) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٥/ ٦٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه رقم: ٢٤١٧، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، انظر: سنن الترمذي ٤/ ٦١٢.

(٤) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، رقم: ١١١، انظر: المعجم ٢٠/ ٦٠، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي. مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط الثانية، ١٤٠٤هـ. وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله، رجال الصحيح غير صامت بن معاذ وعدي بن عدي الكندي، وهما ثقتان. انظر مجمع الزوائد، الهيثمي ١١/ ٢٧٦، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، بدون رقم الطبعة.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، رقم:٢٩٦٣، انظر: صحيح مسلم ٤/ ٢٢٧٥ .

(٦) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، رقم: ٤٨٠٢، انظر: صحيح البخاري ٥/ ١٩٥٨.

كما أنه من الأمور التي تعين على صلاح الولد، وحرزه من الشيطان وتحصينه منه عند طلبه بالنكاح: اتباع السنة عند الجماع، كالتسمية، لطرد الشيطان، قال . صلى الله عليه وسلم . ((لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا. فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ))(١). كما يحرص الوالدان أن يقوّما سلوك ولدهما ويوقفانه على طاعة الله . تعالى، بهذا يكون عوناً لهما وقرّة لأعينهما، وسعادة لهما في الدنيا والآخرة، ويبتعد تماما عن كونه فتنة لهما، وذلك من خلال الاعتصام بالكتاب والسنة.

وأما النساء، فيمكن أن يكون الاعتصام بالكتاب والسنة سبباً في الوقاية من فتنتهن بما يأتي:

أ. غض البصر، قال تعالى:﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[النور: ٣٠] فعدم الالتفات إلى المرأة الأجنبية، والبعد عن تتبعها، يحفظ من الفتنة بها. قال رسول الله . عليه الصلاة والسلام: ((يَا عَلِيُّ: لاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ))(٢).

ب .عدم الذهاب إلى مواطن الفتنة، وذلك بالبعد عن أماكن الفسق والفجور.

ج . تذكر بشاعة الفاحشة وعقوبتها. قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[سورة الفرقان: ٦٨].

د. عدم وصف المرأة المرأة لزوجها، قال صلى الله عليه وسلم: ((لاَ تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا))(٣)؛ فإن ذلك يوجه تفكيره إليها ويدعو إلى التعلق بها.

و . الاكتفاء بما أُحلَّ له من زوجاته.

إن ما عند هذه المرأة من أدوات المتعة، عند تلك، ولذا إذا شاهد الرجل امرأة، فأعجبته واستحسنها فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه، ويقضي حاجته. عن جابر بن عبد الله . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا))(٤). إن الالتزام بهذه الإرشادات والوقوف على هذه التوجيهات اعتصاماً بالكتاب والسنة، يحفظ الإنسان من الوقوع في الفتن ويحميه من الانزلاق فيها.

٣. ترك التحزب والبعد عن الافتراق:

من العوامل التي تقي من الفتن، ترك التحزب وتجنب الفُرقة، والتمزق إلى جماعات متباغضة، يسعى بعضهم لهلاك بعض، وقد ذم الله . تعالى . هذه الفرقة في مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[الأنعام: ١٥٩]، وأوصى بالوحدة في مثل قوله سبحانه:﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[آل عمران: ١٠٣]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((وَلاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ))(٥)، ولا يعني ذلك ترك الأمر

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب التَّسْمِيَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَعِنْدَ الْوِقَاعِ، رقم: ١٤١، انظر: صحيح البخاري ١/ ٦٥.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . باب ما جاء في نظرة المفاجأة، رقم: ٢٧٧٧، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ شَرِيكٍ، انظر: سنن الترمذي ٥/ ١٠١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب لاَ تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا، رقم: ١١٧، انظر: صحيح البخاري ٥/ ٢٠٠٧.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الرضاع، باب مَا جَاءَ فِي الرَّجُلِ يَرَى الْمَرْأَةَ تُعْجِبُهُ، رقم: ١١٥٨، وقال أبو عيسى: حديث جابر حديث صحيح حسن غريب، وهشام الدستوائي هو: هشام بن سنبر. انظر: سنن الترمذي ٣/ ٤٦٤.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك رقم: ٢١٥٠، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه البخاري، وقال الذهبي في التلخيص: لم يخرجه البخاري وهو على شرط البخاري ومسلم، انظر: المستدرك ٢/ ١٠.

بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك المفاسد على حالها دون نكير مخافة التفرق، بل علينا القيام بالواجبات الدينية فليس فيها خروج عن الصف الواحد وإنما هي محاولة لاستقامته وعدم اختراقه، بذلك تحفظ البلاد والعباد من الفتن ومضلات الأمور.

٤. ترك الجدل بالباطل.

من الأمور التي تقي من الفتن وتحفظ منها: ترك المهاترات والجدل بالباطل، والخوض في المتشابهات المثيرة للفوضى الفكرية، قال الله عز وجل:﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾[العنكبوت:٤٦]، والجدل بالباطل يزرع الضغينة، وينبت الحقد في القلوب، ويحرّض على الانتصار للباطل، قال سبحانه:﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إلا جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨]. أما الجدال بالحسنى فهو وقاية من الفتن حيث يُخلِّف آثاراً حميدة، ونتائج مثمرة، قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل: ١٢٥].

٥ . مَعرفةُ الطريقة المثلى لمخاطبة ولي الأمر وتنبيهه:

للوقاية من الفتن وتجنبها، فإنه يجب معرفة الطَّريقة المُثْلَى لإيصَال الاعتِراض، أو إبداء الامتِعَاض مِن الفساد الحالّ بالناس، وهذا الإدراك أَمرٌ بَالغُ الخُطورةِ، يَعرِفُ أَبوابَه أَهلُ الرَّأي والمَشورة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مبيناً هذا المعنى: ((أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ))(١)، فَقد يَستجيب ولي الأمر للمَطَالِب عِند حُسن العَرض، وينتهي الموضوع بسلام، كمَا قد يَكون رَدُّ فِعله شَديداً عند الاصطدام معه. ولتجنب الفتنة والبعد عن انفلات الأمور، يجب أن يكون التوجيه سِراً بَعيداً عَن التَّشهِير؛ ليكُونَ أَحفظَ لقَدرِ المخاطب، وأَبقَى لمَاءِ وجهِهِ، عَلَى الأَخَصّ إذا كَانَ هُوَ الحاكم، أَو أَمير القوم، أو من علية القوم ووجهائهم، وهذه الحادثة تبين هذا المعنى، فعندما ((أَراد الناس مِن أُسامةَ(٢) أَنْ يُكَلِمَ عُثمان فِي شَأن الوَلِيد بنِ عُقبةَ(٣)؛ لأَنَّهُ كَانَ ظَهرَ عَليهِ رِيحُ نَبيذٍ وشُهِرَ أَمرُهُ وكَانَ أَخَ عُثمانَ لأمّهِ وكَانَ يَستعمِلُهُ فقَالَ أُسامةُ: قَد كَلمتُه سِرَّاً دُونَ أَنْ أَفتَحَ بَاباً أَي بَابَ الإنكارِ عَلى الأَئِمَّةِ عَلانيةً خَشيةَ أَنْ تَفتَرِقَ الكَلِمَةُ))(٤). ففي هذا درس ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار؛ حتى لا يذهب المرء ليصلح فيحدث فتنة عمياء يجلبها على نفسه، أو يوقع غيره فيها.

كما ينبغي تَعظِيم شَأنِ الإمَامة، وحفظ مكانتها، فإنْ أَخطأَ الحَاكم فلا يستلزم ذلك الإطاحة بِه وخَلعه، فالهدف الأول هو تَقويمه، وتَصحِيح مَساره؛ ذَلكَ لأَنَّ ((الإمامَ إذا لمْ يَخلُ عَن صِفاتِ الأئمَّةِ، فرَامَ العَاقِدونَ لَهُ عَهداً أَنْ يَخلعوهُ لم يَجدُوا إلى ذَلكَ سَبيلاً باتِّفاقِ الأُمَّةِ، فإنَّ عَقدَ الإمامَةِ لازمٌ لا اختِيارَ فِي حَلِّه مِن غَيرِ سَببٍ يَقتضيهِ، ولا تَنتَظِمُ الإمَامةُ ولا تُفيدُ الغَرضَ المَقصودَ مِنها إلا مَعَ القَطعِ بلُزُومِها، ولَو تخيَّرَ الرَّعايا فِي خَلعِ الإمامِ، لمَا استتبَّ للإمامِ طَاعةٌ، ولمَا استمَرَّت لَهُ قُدرةٌ واستِطَاعةٌ، ولمَا صَحَّ لمنَصِبِ الإمَامةِ مَعنى، فأَمَّا الإمامُ إذا أَرادَ أَنْ يَخلعَ نَفسَهُ فَقد اضطَّربَت مذَاهِبُ العُلمَاءِ فِي ذَلكَ، فمَنَعَ بَعضُهُم ذَلكَ وقَضَى بِأَنَّ

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، رقم: ٤٨٤٢، قال أبو داود وحديث يحيى مختصر، ميمون لم يدرك عائشة، وقال الألباني: ضعيف، انظر: سنن أبي دواد ٢/ ٦٧٧.

(٢) يعني الصحابي الجليل أسامة بن زيد رضي الله عنه. راجع: ابن حجر، فتح الباري ١٣/ ٥٢.

(٣) الوليد بن عقبة بن أبي معيط، الأموي القرشي، لم يعرف عام ولادته، وتوفي سنة٦١هـ من شعراء قريش وأجوادهم. فيه ظرف ومجون، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه، أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على صدقات بني المصطلق، ولاه عمر صدقات بني تغلب، ولاه عثمان الكوفة، شهد عليه جماعة بشرب الخمر، فعزله عثمان، وحدَّه وحبسه. اعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، رثى عثمان، وحرض معاوية على الأخذ بثأره. مات بالرقة. راجع: الزركلي، الأعلام ٨/ ١٢٢.

(٤) ابن حجر، فتح الباري ١٣/ ٥٢.

الإمامةَ تَلزمُ مِن جِهةِ الإمامِ، لزُومَهَا مِن جِهةِ العَاقِدينَ وكَافَّةِ المُسلِمينَ))([1])؛ لذا فإن تعظيم شأن الإمام وعدم التجرؤ عليه . إلا فيما اتفق عليه الفقهاء، مما يطرد الفتنة فلا تضع لها قدماً بين صفوف الناس المنتظمة.

٦ . قبول الحاكم للنصيحة والبعد عن التسلط والاستِبدادِ.

كما يجب على الأمة تعظيم شأن الإمامة والحفاظ على مكانة الحاكم، فكذلك على الحاكم أن يكون بعيداً عن التسلط والاستِبداد، يمتلك من المرونة الفكرية والرفق في التعامل ما به يمكن أن يقبل التَّقويم، مؤمناً بأن للناس حقوقاً يجب أداؤها. وقد كان مِن مَبادئ الخُلفاء الرَّاشِدين . رِضوان الله عَليهِم . عِند تَولّيهم أُمور النَّاس وإدارتهم لشؤون الأمَّة، أنْ يَقبلُوا النُّصح والإرشاد . وهُم المَهدِيون . بَل كَانوا يَأمرُون رَعاياهم بتَوجيه النُّصح إليهم وتَذكيرهم بالخير إذَا رَأوا منهم غَفلة أَو نسياناً. وهَذا سيدنا أبو بكر . رَضي اللهُ عنه . عِندما تَقلَّدَ الخِلافة، كَان حريصاً عَلى إرساء هذا المَبدأ والعَمل به، قَال رضي اللهُ عنه: ((أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ فَإنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ فَإنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإنْ أَسَأْتُ فَقَوّمُونِي))([2]).

((وكمَا قالَ عُمرُ. رَضي اللهُ عنهُ: مَن رَأى منكُم فيَّ اعوجاجاً فلْيُقومْهُ، وكمَا قَالَ عُثمانُ رَضي اللهُ عنهُ: أَمرِي لأمرِكُم تَبَعٌ. وأَقوالُ عليٍّ . رَضي اللهُ عنهُ . وأَعمالُهُ بالشُّورَى مَعروفةٌ، علَى اضطِرابِ الأَمرِ وظُهورِ الفِتنِ فِي زَمنِهِ، ومَوتِ كثيرٍ مِن كُبراءِ أَهلِ العِلمِ وتَفرُّقِ بعضِهِم))([3]).

فالذي يجعل النَّاس يخرجون ثَائرين، ترتفع أَصواتهم، وتنفلت تصرفاتهم هو ما يجدونه من أَولى الأَمر، استبداداً بالرَّأي، وانفراداً بالقَرار، وتسلطاً واضحاً على رقابهم، مُخلِّفين وَراءهم جيشاً من المَظلُومين وأَعدادا من المكلومين، فإذا ما اتسعت صدور القادة والولاة للمَشُورة واستمَعوا لرعاياهم، كان أرجى لتَضييق دائرة الخلاف، وإزالة أَسبابه، واطمأَنَّ النَّاس لقَراراتهم والتزام توجيهاتهم.

وإذَا استصحب الحَاكم هذه المَعاني، وأَنَّهُ ليس إلهاً لا مُعقِّب لحكمه، ولا رَادَّ لقَضائه، أَو نَبِيَاً مَعصوماً من الخَطَأ والضَّلال، فقَبِلَ النُّصح مِن ذَوي العَقل والحكمة، جنَّب نَفسه صِدامَات مَع النَّاس، وسدَّ على الفتنة طريقها وفتح أبواب المحبة؛ لتصطف القلوب بين يديه وتسعد، وترتقي الأمة وتنعم.

---

(١) الجويني، غياث الأمم والتياث الظلم ١/ ٩٧، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية ١٩٧٩م.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية ٤/ ٤٩٣، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٦هـ .

(٣) محمد رشيد رضا، الخلافة ١/ ١٤٨، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، بدون بيانات أخرى.

المَبحَثُ الثَّانِي:

كيفية التعامل مع الفتن أثناء وقوعها.

إذا حلت الفتن بساحة قوم ولم يستطيعوا ردَّها عن ديارهم، وأطبقت عليهم غوائلها، وعمتهم ظلماتها، فينبغي أن يتعاملوا معها وفق ضوابط مدروسة؛ ليوقفوا مَدَّها عليهم، واجتياحها لهم، وبطشها بهم، أو على الأقل ليخففوا من وطأتها وإحكام قبضتها، ويقلّلوا من آثارها المدمرة على الفرد والمجتمع، ويمكن بيان الخطوط العريضة لكيفية التعامل مع الفتن والموقف الإيجابي الَّذي يجب أنْ يتخذه المُسلم أثناء وقوعها فيما يلي:

١. الإعراض والتعفف عن المغريات:

يتضح التعفف عن المغريات عند التعرض لفتنة النساء، أو المال، أو هما معاً، وأروع مثل ضربه لنا في التعفف عن الحرام، وأبان عن معدنه الأصيل، هو سينا يوسف . عليه السلام . فبرغم توافر أسباب الفتنة، وحضور دواعيها، وتهيئة المجال للوقوع فيها، إلا أنه أزاح الستار عن نفس كريمة، وأخلاق عالية، وعزيمة ماضية في طاعة الله تعالى ومراقبته سبحانه،، قال تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾[يوسف: ٢٣]. وقد بيَّن النبي الكريم . عليه الصلاة والسلام أن من السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله ذلك الرجل العفيف الذي وقف صامداً أمام عنفوان الشهوة وتيارها، قال صلى الله عليه وسلم: ((وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ))(١). والمرأة في التعفف وحفظ النفس كالرجل.

كما ضرب لنا الصحابة الأجلاء الأمثلة الحية في التعفف عن المال الحرام، والبعد عن فتنته بنفوس الأكابر ويتضح ذلك في فتح بلاد الروم، وقد غنموا أموالاً كثيرة، فقد((كان نصيب الواحد منهم اثني عشر ألفاً، وقد أرسلوا إلى عمر والمسلمين بالمدينة مالاً كثيراً؛ لينظروا إليه ويتعجبوا منه فبعثوا الخمس، فقال عمر لما نظر إلى ذلك: إن قوماً أدُّوا هذا لأمناء فقال له علي بن أبي طالب: إنك عففت، فعفت رعيتك، ولو رتعت لرتعت، ثم قسم عمر ذلك في المسلمين))(٢).

٢. الالتفاف حول العلماء والاستفادة منهم:

عند نزول الفتن بالناس ينبغي أن يفكروا في حلول جِدية للخروج منها، وعدم الاستمرار في ظلماتها. وأقدر الناس على إيجاد حلول عملية قابلة للتنفيذ مفيدة في الواقع الحالّ بالناس، هم العلماء العاملون الذين أمر الله . جلت قدرته . بسؤالهم والرجوع إليهم، قال تعالى:﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣] كما حضَّنا سبحانه على ردّ الأمور المشتبهة إليهم، فقال سبحانه:﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[النساء:٨٣].

فالالتفاف حول العلماء من أعظم العوامل المعينة على إصابة الحق والهداية والرشاد وعدم الزيغ والانحراف والفساد في وقت الفتن، والخروج منها بلا خسائر، أو بأقل ما يمكن.

فينبغي الرجوع إلى أهل العلم الراسخين فيه، الذين أخلصوا دينهم لله، وانقطعت أطماعهم عن الدنيا، وعظمت شفقتهم على الناس، وبذلوا النصيحة لهم . وقد زكَّى الله رأيهم بقوله:﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الآذان، باب مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ، رقم: ٦٢٩، انظر: صحيح البخاري ١/ ٢٣٤.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٧ / ٧٨.

صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[سبأ:٦]، فالعلماء يعلمون من أصول الشريعة مالا يعلمه كثير من الناس، وعندهم القدرة على مواجهة الفتن والتعامل معها، وتحجيم آثارها؛ بما أعطاهم الله من البصيرة والعلم والمعرفة لصد تيار الفتنة أو عدم الهلاك فيها.

٣. لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

إن اجتماع المسلمين على كلمة سواء، واصطفافهم جميعاً، مطلب اسلامي مُلِح في جميع الأوقات، لينفذوا أمر الله تعالى الواضح في قوله سبحانه:﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[آل عمران:١٠٣]، والمسلمون أشدُّ ما يحتاجون إلى ذلك وقت الفتن، حتى لا تطول أيام محنتهم، وتشتد ظلمات فتنتهم، فتوحيد الصف، وجمع الكلمة حصن من الحصون القوية التي تحفظ الناس من الهلاك وتمنعهم من الضياع وقت نزول الفتن، فالتنازع والشتات فشل وذهاب للقوة، وبذلك تكون البيئة مناسبة لاستمرار الفتن وبقائها قال تعالى:﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[الأنفال:٤٦]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً))(١)، ولا شك في أن التفرق والتحزب مما يفرط عقد الجماعة ويتسبب في زرع العداوة في النفوس، ويطيل أمد الفتنة بين الناس ومحنهم.

٤. تجنب الاستماع للرُّويبِضَةِ وتحجيمه.

تموج الفتن بشدائدها، وتقذف بمضلاتها، فتظهر من غثائها الذي تحمله في أحشائها من يَتكَلَّمُ فِي كُلِّ فَنٍ ويَتصدَّرُ الحَديث عَن كلِّ عِلمٍ، وكَأَنَّهُ الملهم المعلم، أَوحدُ زَمانِه، ومَوسُوعةُ دَهرِه، المُدرِكُ لخَبَايا الأُمُورِ التي غفل عَنهَا أَغلب النَّاسِ، وأَسهل شَيءٍ عَليهِ مَقامُ الفَتوَى، يقتحمه بجهالة، يُحِلُ ويُحَرِّمُ، ويُبَرِّئُ ويُجَرِّمُ، ويعتقد أنه يوجه ويقوم ويعلم، سواء عليه أدرك خُطورة مَا يَقول أوْ لَمْ يدرك، ولَستُ أَقصِد مِن وَراءِ ذَلك: الحَجْرَ عَلَى عُقولِ النَّاسِ وكشف معايبهم، وإِنّمَا أقصد أن الّذي يَتكلمُ فِي فَنٍّ غَيرِ فنِّهِ، لابدَّ وأَنْ يَأتِي بالعَجائِب، وليتَ المُتَحَدِّث يَكون ممَّنَ أَجَاد فنَّاً ما وأتقنَهُ، ثُمَّ هُو يَتَكَلَّم فِي غَيرِ فَنِّهِ، لَهَانَ الأَمرُ، إِذْ أَنَّ الأُسسَ التي تَمَرَّس بِها فِي فنِّه، تَعْصِمُه مِن المُهَاتَرات والسَّقَطَات الكثيرة، وإِنْ لَم يَكُن كلامُه دَقِيقَاً، لكنَّ الطَّامَّة أَنَّ بعض المُتحدِّثِين لا يُحسِن أيَّ شَيء ويَخوض فِي كلِّ شيء، ويُوهِم نفسَه أَنَّ حديثَه هُو حديث العَاقل والمُفكِّر المُستنير. وهذا هو الرويبضة الذي قصده النَّبِيُّ الكَرِيمُ بقوله:((سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَن خَدَّاعَة، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ ؟ قَالَ: السفيه يتكلم فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ))(٢). لِذا يَجِب عَلَى النَّاس أَنْ لا يَنسَاقُوا وَراء مَن هذه صفته، وأن لا يمنحوه أكثر مِن حجمه الطبيعي الذي يستحقه مثله؛ حتى لا يَضل ويُضِل غيره بالتُّرَّهات التي ينطق بها، والأباطيل التي تملأ عقله والأوهام التي يتقلب فيها.

٥ . دعاء الله تعالى والتضرع إليه:

للدعاء فضل كبير في كشف السوء النازل بالناس ودفعه عنهم، قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[النمل: ٦٢]، وقد أرشد النبي عليه الصلاة والسلام إلى ما ينبغي أن يفعله الإنسان عند نزول البلاء وإحاطة الملمَّات، فَقَالَ: ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرِبٌ، أَوْ بَلَاءٌ مِنْ بَلَايَا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ سَتَرَوْنَ بَعْدِى أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا، رقم: ٦٦٤٥، انظر: صحيح البخاري ٦/ ٢٦١٢.

(٢) أخرجه أحمد في المسند رقم: ٧٨٩٩ ، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف عبد الملك بن قدامة، وجهالة إسحاق ابن بكر بن أبي الفرات، انظر: المسند ٢/ ٢٩١ مؤسسة قرطبة، القاهرة.

الدُّنْيَا دَعَا بِهِ يُفَرَّجُ عَنْهُ ؟) فَقِيلَ لَهُ: بَلَى، فَقَالَ: (دُعَاءُ ذِي النُّونِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ))(١).ومَعَ الدُّعاءِ الذي يلزمه الناس، ينبغي أن لَا يَستعجل المَرءِ الإجَابة. عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ قَالَ شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا قَالَ: ((كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ، يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ. وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ))(٢)، فدعاء الله . تعالى . ولزوم طاعته، من عوامل كشف الضر، ودفع البلاء، وتحجيم الفتن، وعدم استفحال أمرها.

قال عليه الصلاة والسلام:((إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ))(٣).

٦. اعتزال الفتنة والهُروب منها:

في أيام الفتن غالباً ما يدخل المغرضون ليلبسوا الحق بالباطل و يفسدوا على الناس حياتهم، وعندئذ لا يستبين سبيل المجرمين، فيكون البعد عن الفتن والفرار من موطنها وعدم السعي إليها من الأمور التي تقي من استمرارها وتمنع من عواقبها الوخيمة؛ فإن الفتن إذا جاءت لا تنتقي وإنما تأخذ كل من يتعرض لها . قال تعالى:﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الأنفال:٢٥]، ويكون البعد عن الفتن واجتنابها وعدم التعرض لها والخوض فيها من المطالب الشرعية. وقد وردت أحاديث كثيرة تحذر من ذلك، منها:

قول النبي . صلى الله عليه وسلم . ((سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ))(٤). وهذا الحديث ((فيه التحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها وإن شرها يكون بحسب التعلق بها))(٥).

وقوله عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ، أَلاَ ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا، أَلاَ فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلاَ غَنَمٌ وَلاَ أَرْضٌ؟ قَالَ: « يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لْيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ. اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ ». فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي قَالَ: « يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ »))(٦). ويؤكد هذا المعنى أيضاً ما رواه ابن مسعود . رضي الله عنه . من قول النبي عليه الصلاة

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح، انظر: المستدرك ٢/ ٤١٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، رقم:٣٤١٦، انظر: صحيح البخاري ٣/١٣٢٢.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في دعاء النبي، رقم:٣٥٤٨، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي ، ضعَّفه بعض أهل العلم من قبل حفظه ٥/ ٥٥٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، رقم: ٣٤٠٦، انظر: صحيح البخاري ٣/ ١٣١٨.

(٥) ابن حجر، فتح الباري ١٣/ ٣١.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر، رقم:٢٨٨٧، انظر: صحيح مسلم٤/ ٢٢١٢.

والسلام: « تَكُونُ فِتْنَةٌ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمُضْطَجِعِ، وَالْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ، وَالْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ الرَّاكِبِ، وَالرَّاكِبُ خَيْرٌ مِنَ الْمُجْرِي قَتْلاَهَا كُلُّهَا فِي النَّارِ ». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَتَى ذَلِكَ؟ قَالَ: « ذَلِكَ أَيَّامُ الْهَرْجِ ». قُلْتُ: وَمَتَى أَيَّامُ الْهَرْجِ قَالَ: « حِينَ لاَ يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ ». قَالَ: قُلْتُ: فَما تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: « اكْفُفْ نَفْسَكَ وَيَدَكَ وَادْخُلْ دَارَكَ ». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَىَّ دَارِي؟ قَالَ: « فَادْخُلْ بَيْتَكَ ». قَالَ: قُلْتُ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَىَّ بَيْتِي؟ قَالَ: « فَادْخُلْ مَسْجِدَكَ وَاصْنَعْ هَكَذَا ». وَقَبَضَ بِيَمِينِهِ عَلَى الْكُوعِ « وَقُلْ رَبِّيَ اللَّهُ حَتَّى تَمُوتَ عَلَى ذَلِكَ »))([1]).

وقدْ كَان مَوقف السَّلف الصَّالح مِن الصَّحابة ومَن سار على دربهم عندَ وقوع الفتَن مَوقف العَاقل المُستنير، المُدرك لعَواقب الأُمور، المُميز للخَير مِن الشَّر ، المُتَجَنِب للفَوضَى والصِّدام، البَعيد عن الفسَاد والإجرام.

وأمَّا مَا حدَث مِن أمِّ المؤمنين عائِشة ـ رضِي اللهُ عنها ـ فِي مَوقعة الجَمل، فمَا قَصدَته، ولا دَبَرَتْهُ و((إنَّ عَائشةَ لَمْ تُقاتلْ ولَمْ تَخرُجْ لقتالٍ وإنّمَا خَرجَت لقصدِ الإصلاحِ بينَ المُسلمينَ وظنَّت أنَّ فِي خُروجِهَا مَصلحةً للمُسلمينَ، ثُمَّ تَبيّنَ لَهَا فِيمَا بَعدُ أنَّ تَركَ الخُروجِ كَانَ أوْلَى، فكَانَت إذَا ذَكَرَتْ خُروجَهَا تَبْكِي حتَّى تبُلَ خِمارَهَا، وهكذَا عامةُ السَّابقينَ نَدِمُوا عَلى مَا دَخلُوا فِيهِ مِن القِتَالِ، فندِمَ طلحةُ، والزُّبيرُ، وعليٌّ ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ولَم يكنْ يومَ الجَمَلِ لهؤُلاءِ قَصدٌ فِي الاقتتالِ، ولكنْ وقَعَ الاقتتالُ بِغيرِ اختِيَارِهِم، فإنَّهُ لمَّا تَراسلَ عليٌّ، وطلحةُ، والزُّبيرُ، وقَصدُوا الاتفاقَ علَى المَصلحةِ وأنَّهُم إذا تَمكنُوا، طَلَبُوا قتلةَ عُثمانَ ـ أهلَ الفتنةِ ـ وكانَ عليٌّ، غيرَ راضٍ بقَتلِ عُثمانَ، ولا مُعينًا عَليهِ كَمَا كَانَ يَحلِفُ فيقولُ: واللهِ مَا قتلتُ عُثمَانَ ولا مَالأتُ عَلَى قَتلِهِ، وهُو الصَّادقُ البارُّ فِي يمينِهِ، فَخشِيَ القَتلةُ أنْ يتفقَ عليٌّ، معهم علَى إمساكِ القتلةِ، فحمَلُوا علَى عَسكرِ طَلحةَ، والزُّبيرِ، فظَنَّ طلحةُ، والزُّبيرُ، أنَّ علياً حمَلَ عليهم فحملُوا دَفْعاً عن أنفسِهِم، فظنّ علىٌ أنَّهم حَمَلُوا علَيْهِ، فحَمَلَ دَفْعاً عن نفسِهِ، فوقَعَت الفتنةُ بغيرِ اختيارِهِم، وعائشةُ ـ رضي اللهُ عنها ـ راكبةٌ لا قَاتلت ولا أمرَت بالقِتالِ هكذا ذكرهُ غيرُ واحدٍ مِن أهلِ المعرفةِ بالأخبارِ))([2]).

وموقف سيدِّنا عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ يُظهِر أنَّ اجتناب الفِتن والغِياب عَنها أفضَل مِن حُضورها والوقُوع فِي بَلائها، فعندما((رَأَى عليٌّ بنُ أبِي طالبٍ، طلحةَ ملقىً فِي بعضِ الأوديةِ، نَزَلَ فمسَحَ الترابَ عَن وجهِهِ، ثمّ قالَ: "عزيزٌ عليَّ، أبَا مُحمّدٍ أنْ أراكَ مُجْندلاً فِي الأوديةِ وتَحتَ نجومِ السَّماءِ. إلى اللهِ أشكُو عُجري وبُجري ـ أي سَرائِري وأحزَانِي التي تَجولُ فِي جَوفِي ـ وقَالَ: " ليتَنِي مِتُ قَبلَ هذَا اليومِ بعشرينَ سنةً "))([3]).

فهَذا مَوقف الصَّحابة الأجِلاء مِن الفِتن عِندما تَعُمُّ، وهذه وصاياهُم للخُروج مِن مُعتركها بِلا خَسَارة، أوْ ذَمٍّ. بل كان منهم من لم يكتف باعتزال فتنة القتال فقط، وإنما يخرج بعيداً عن أرض القتال، ويعتزل الناس ويجتنب فتنتهم.

وأما كيف تكون العزلة في الفتنة، فإما أن تكون عزلة تامة، وإما أن تكون عزلة جزئية.

فالعزلة التامة: تكون في مكان بعيد عن الناس، بحيث يشتغل المعتزل، بغنمه، أو إبله، أو أرضه، أو غير ذلك مما يُحقق له العزلة التامة والانقطاع عن الناس.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند رقم: ٤٢٨٦، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف على نكارة في بعض ألفاظه، انظر: المسند ١/ ٤٤٨، وقال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات، انظر: مجمع الزوائد ٧/ ٢٤٦.

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية١/ ١٧٠ ، ١٧١ تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط الأولى، وراجع: ابن العربي، العواصم من القواصم ١/ ١١٦.

(٣) ابن العربي، العواصم من القواصم ١/ ١١٦.

وأما العزلة الجزئية: فتكون باعتزال الفتنة وأهلها، ولا يدخل فيها، أو يشترك في قتالها، أو يشتمل على شيء من ذلك تحريضاً أو تأييداً، وإن كان مقيماً بين ظهراني الناس.

وقد تنوعت مواقف المعتزلين للفتنة من الصحابة وغيرهم، فمنهم من اعتزل اعتزالاً كلياً، كسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة([1]). ومنهم من تجنب الفتنة والخوض فيها، ولم يعتزل الناس، كأسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم . رضي الله عنهم أجمعين.

٧. قيام المؤسسات الحكومية بما يجب عليها عند ظهور الفتن:

أبرز هذه المؤسسات الحكومية وأقدرها على التعامل مع الفتن والأزمات هي تلك المؤسسات التي تتصل بالناس وتوجهها، وعلى رأسها الأزهر الشريف تلك المؤسسة العلمية المباركة الشامخة شموخ دين الله وعزته، وما ينضوي تحتها من صروح ومفاخر للمسلمين كالوعظ والإرشاد، ومجمع البحوث الإسلامية، ولجان الفتوى، وجامعة الأزهر، والمعاهد الأزهرية، وما انبثق منها وخرج من عباءتها كوزارة الأوقاف، وما تضمه ويعمل تحت إدارتها، وكذلك وزارة الإعلام، وكل ذلك عليه واجب كبير في دفع البلاء وتبصير الناس للخروج من ظلمات الفتن، وهي قادرة على أَن تَقُوم بِأَدوَار إِيجَابِيَّة فِي القَضَاءِ عَلَى الفتن، واحتوائها. فالأزهر الشريف متمثل في شيوخه الكرام، وأساتذة الجامعة، والوعاظ المخلصين الفضلاء، ومدرسي المعاهد الأزهرية، يمثلون منظومة متفردة، وكوكبة متميزة، قلما تجد نظيرها عند القيام بواجباتها والحرص على أدائها، فهم يملكون . رغم محاولات المغرضين . أساليب الإقناع ومفاتيح القبول؛ لتوجيه مختلف فئات الناس وأصنافهم . متعلمين وغيرهم . إلي ما ينفعهم كما يحذرهم من استجلاب الفتن أو الخوض فيها، ويبصرهم بالأسلوب الأمثل في التعامل معها عند وجودها بما يحفظ للإنسان دينه وأمانته.

ووزارة الأوقاف، بمفرداتها من إدارة، وإمام، ومسجد منظومة متفردة في إدارة الأزمة والخروج منها، فمثلاً الإمام بما يمتلك من قدرات ومواهب يمكن له بسهولة أن يتحكم في زمام الأمور، وأن ينقاد له جموع كثيرة من الناس طائعة مختارة لما يقوله ويوصي به وأن يضع الحلول المناسبة، والمقترحات المفيدة، وأن يناسب خطابُه الأحداث الجارية، وأسلوبُه العقول المستمعة والأفهام المختلفة، والمستويات المتباينة، والوجدانات المتلهفة، وما تعج به الحياة من مشكلات، وما ترمي به من فتن ومعضلات، بعيداً عن المناورات السياسية، والتحزبات المذهبية، والمصالح الشخصية.

وإذا لم يقم الإمام بمهمته، سوف يقوم غيره مقامه، ويتبوأ مكانته، ويسحب البساط من تحت أقدامه، ولا يعلم الناس ساعتها مقدار إخلاص هذا للقضية التي يدعو إليها، وهل دفعه إلى ما يدعو إليه دينه، أو دفعه إلى ذلك آخرون، وما الهدف من خلال توظيف هذا الآخر؟.

وكذلك وزارة الإعلام، يمكن أن تؤدي خدمة جليلة في الخروج من هذه الأزمات.

فليست وسائل الإعلام صوتاً نديا يتغنى بأمجاد الدولة ويُشجي المسئولين فقط، كما أنه ليس همًّا جاثماً على صدرها، أو معول هدم في أساسها، أو حجر عثرة في طريقها، وإنما هو ضمير الأمة وصوتها المسموع ولسان الصدق الذي يساعد على التصحيح، وقوى الدفع التي توجه نحو التقدم والازدهار وحائط الصد من الشر والفتن، فهي تلعب دَوراً خَطيراً في تَوجيه النَّاس

---

(١) الصحابي الجليل: محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، رضي الله عنه، كانت حياته بين (٣٥ ق هـ – ٤٣هـ). شهد بدراً وما بعدها إلا غزوة تبوك. استخلفه النبي . صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته. ولاه عمر على صدقات جهينة. اعتزل الفتنة في أيام علي، فلم يشهد الجمل ولا صفين. مات بالمدينة. راجع: الزركلي، الأعلام ٧/ ٩٧.

وتَرسيخ بعض القَنَاعات في أَذهانهم على اختلاف مُستوياتهم العلميَّة، والثَّقافيَّة، والاجتماعيَّة، ونَظَراً لتَنوُّعها، فَإِنَّ تَأثيرها على أَغلَب قطاعات النَّاس أَمرٌ مُسلَّم بِه، فَالجَرائد والمجلَّات تخاطب فئة معينة، كما أن الإذاعَة لها مستمعوها، وفريق من الناس يَنصرف إِلى التِلِيفزيُون، وأَغلب الشَّباب اليَوم يتوجَّهون إِلَى الانتَرنت وما يحوِيه مِن خَدمات مُتَعدِّدة، وقُوَّة جاذبة، كَاليُوتيُوب، والإميل، وَمواقع التَّواصل الاجتماعيّ، مثل الفِيس بُوك، وَالتِوِيتَر، وَغَيرها.

وهَذه الوَسائل بِقُدُرَاتها الهَائلة يجب أَن توظَّف التَّوظيف الأَمثل للقيام بواجبها المَنُوط بها في تَوجيه الرَّأي العَام وَإِرسَاء القِيم وَالمَبَادِئ، والتحذير من استمرار الفتن والمضلات، والعمل على إخماد نيرانها.

المبحث الثالث:

الوقوف على الحكم من وقوع الفتن بين الناس.

تشترك الفتن مع الابتلاء في المشقة النازلة على الإنسان، وصعوبتها على النفس، ومع الاختبار في كونهما يقعان في الخير والشر، وما يعقبهما من نفع وضر، وكما أن للابتلاءات والاختبارات حكماً بالغة؛ فإن لوقوع الفتن كذلك ما للابتلاء والاختبار من حكم وعبر، وغايات وأهداف، تدرك من واقع الناس وتتبع أحوالهم، وما يحل بهم، وينزل عليهم، ويمكن استنباطها أيضاً من خلال استقراء آيات القرآن الكريم، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بهذا الموضوع، والوقوف على مقاصدها، وبما أن الفتنة تشترك مع الابتلاء والاختبار في معنيهما فيمكن بيان بعض الحكم من نزول هذه الشدائد بالناس على ما يلي:

١ . تحقيق معنى العبودية الصادقة لله تعالى.

إن العبودية الصادقة لله تعالى، لا تتحقق إلا إذا أيقن المرء أن كاشف الضر هو الله وحده، كما يوقن أن جالب النفع هو الله سبحانه وتعالى، وتترجم تصرفاته هذا الاعتقاد، وينسجم سلوكه معه، فيقترب من ربه بهذه العبودية الصادقة؛ ليحقق الهدف من وجوده وهو العبادة، قال تعالى مبيناً ذلك:﴿ ومَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون﴾[الذاريات: ٥٦]، ويتضح من أغلب أحوال الناس أن قربهم من الله تعالى والتزامهم بابه يكون أشد في حال البلاء عنهم في حال الرخاء، وفي وقوع المحن عنهم في استمتاعهم بالنعم؛ لذا كان من الحكمة نزول المشاقّ في بعض الأحيان على الناس، ووقوع الفتن بينهم، لسوقهم إليه سبحانه، وصقل أعمالهم وإخلاص نياتهم لله بتحقيق هذا المعنى السامي للعبودية الخالصة له . سبحانه وتعالى . مصداقاً لقوله جل وعلا: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾[الإسراء: ٦٧]، كما توضح المحن والشدائد والفتن للناس طريق الإنابة، قال تعالى:﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾[الزمر: ٨].

لذا فإن المشاق والمتاعب لها جانب آخر ينبغي الالتفات إليه، وهو تقريب الناس من ربهم وسعيهم إلى مرضاته ولجوؤهم إليه.

٢ . التفريق بين الصادقين في إيمانهم والمدعين له.

يظهر هذا الفرق واضحاً بين الناس عند نزول المحن وعموم الفتن، ويصنف الناس عند الله . تعالى . بما وقر في صدورهم وانطوت عليه ضمائرهم، فانفعلت به جوارحهم وأظهرته أعمالاً، وتحركت به ألسنتهم وترجمته أقوالاً، قال تعالى:﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[العنكبوت: ٢،٣]. وهو ما يوقف النفس على مدى قبولها لقضاء الله تعالى ورضاها بقدره؛ فإن كانت جازعة ساخطة على ما نزل بها؛ فقد أساءت لصاحبها وأوردته المهالك، وإن كانت راضية صابرة، فقد نجت بصاحبها وربحت هنالك، وقد كان السلف الصالح يحسنون استقبال ما قضاه الله تعالى وقدَّره؛ لأنهم أدركوا استحسان النبي الكريم لأخلاق من كان قبلنا في التعامل مع قضاء الله . عز وجل . حيث يقول النبي عليه الصلاة والسلام: ((وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلاَءِ، كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ))(١)، كما يحدث ذلك عندما ينزل به ما يكون فتنة له، من مرض، أو فقر، أو ضعف، ورقة حال، وقد يرى غيره منغمساً في نعم الله، قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾[الفرقان:٢٠].

٣ . الوقوف على محبة الله سبحانه لبعض عباده.

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم: ٤٠٢٤، وقال المحقق: إسناده صحيح ورجاله ثقات، انظر: سنن ابن ماجه، ٢/ ١٣٣٤، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة ولا سنة الطبع.

من الحكم التي يمكن أن تستنبط مما ينزل بالإنسان من شدة، إدراكه أن وقوع هذه الشدائد به قد تكون عن محض محبة من الله . تعالى . ولمزيد اقتراب من رحمته ورضوانه؛ إذ قد تطغي الإنسانَ الحياة وتلهيه عن مولاه فيكون من لوازم المحبة عدم تركه وطغيانه، وإهماله ونسيانه، كما هو حال بعض المبعدين عن ربهم، قال الله تعالى: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[سورة التوبة:٦٧]، وقال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[الأنعام:٤٤].

أما من أراد الله تعالى استنقاذه من غوايته، وهدايتَه من ضلالته، فقد يقع عليه ما يعيد إليه رشده، ويوقفه على الصراط المستقيم، روي أَنَّ رَسُولَ اللهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسَلَّمَ . قَالَ:((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ))([1]).

٤. تكفير السيئات ومغفرة الذنوب.

يقع الإنسان في كثير من الأخطاء ويرتكب عديداً من المخالفات الشرعية على مدار حياته، وهذه المخالفات هي ما تسمى بالذنوب أو السيئات([2])، وطبيعة الإنسان تزج به في هذا النفق المظلم أحياناً، مصداقاً لقوله . صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ . الذي يرويه أنس بن مالك . رضي الله عنه: ((كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ))([3]). وليس هناك أحد معصوماً إلا الأنبياء والمرسلون . عليهم الصلاة والسلام . لذا احتاج الإنسان إلى مكفرات للسيئات، وغفران للذنوب؛ حتى لا يرجع إلى ربه عند بعثه بعد موته، مثقلاً بالأوزار والآثام، فأرشد الإسلام إلى العمل الصالح وفعل الخيرات، التي تأتي على السيئات فتمحوها، كما قال الله تعالى:﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾[هود: ١١٤]، لكن المرء قد يعاود مقارفة الذنوب، فتثقل كاهله، أو تقل حسناته فتضعف أمام سيئاته، فيحتاج الإنسان إلى ماحي آخر يخفف من ذنوبه أو يزيلها، فتأتي الشدائد والفتن والبلايا؛ لتقوم بهذه المهمة، فوقوع الشدائد على الإنسان ونزول الملمات إن أحسن المرء التعامل معها، يكون ذلك سبباً من أسباب تكفير الخطايا ومحو الذنوب، عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال رسولُ اللهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا يَزَالُ البَلاَءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ، وَوَلَدِهِ، وَمَالِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ))([4]) وليس المقصود هنا استقصاء أسباب المغفرة ومحو السيئات، وإنما بيان ما انطوت عليه الشدائد من حكم ورفع الدرجات.

٥. تنبيه المنحرفين من الناس للرجوع إلى الطريق المستقيم.

قد يضل الإنسان طريق الهدي من نفسه، أو يُضلَّل من غيره، فيحتاج لمن يعيده إلى جادة الطريق ويوقفه عليه من جديد، وبعض الناس لا يرعوي بالإشارة والتنبيه، وإنما يحتاج إلى قطع طريق الغواية عليه وإجباره على العودة إلى الاستقامة والصلاح، وهو ما تراه النفس مشقةً عليها وتقييداً لحركتها وتكبيلاً، وهو يحمل في حقيقته تحريراً للنفس من أغلال الغواية وسراحاً جميلاً،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند رقم: ٢٣٦٩١، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد، انظر: المسند ٥/ ٤٢٩ . وقال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله ثقات، انظر: مجمع الزوائد ٢/ ٣٤٤، ط دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م، بدون ذكر رقم الطبعة.

(٢) الذنوب: المعاصي الكبيرة، أما السيئات، فهي المخالفات الصغيرة، راجع في ذلك: ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ١/ ٣١٠، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

(٣) أخرجه الحاكم، كتاب التوبة والإنابة، رقم: ٧٦١٧، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: علي بن مسعدة . أحد الرواة . لين، انظر: المستدرك٤/٢٧٢.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . باب ما جاء في الصبر على البلاء، رقم: ٢٣٩٩، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، انظر: سنن الترمذي٤/٦٠٢.

وهذا الجهد الواقع على النفس، والصعاب المهذبة لها، هو ما تحمله الفتن والبلايا للنفس وتقدمه لها، هزة يقظة وبوق إنذار للغافلين، يقول الله تبارك وتعالى:﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[الأعراف:١٦٨].

٦. التذكير بأنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

إن نزول الشدائد بالإنسان ووقوع المحن عليه، تجعله، يقف على حقيقة نفسه، ويحس بالضعف الطبيعي الذي هو من مكوناته، قال تعالى:﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾[النساء:٢٨]، وهذا ما ينساه غالباً في زهو جاهه وانغماسه في ملذات الحياة الدنيا، فتأتي الضغوط والمصاعب لتسوق الإنسان إلى ربه وتذكره به؛ إذ كل الأبواب عند الدواهي الدامغات تغلق إلا بابه سبحانه، الذي يظل مفتوحاً، لا يرى الإنسان ساعتها غيره، فهو إذن عاجز إلا إذا أمده الله بقوة، ولا يتذكر ذلك إلا عند حيرته ووحدته، قال الله تعالى:﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُون ﴾[النمل:٦٢]. و قال تبارك وتعالى:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾[النحل: ٥٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ﴾[الإسراء: ٦٧].

٧ . الحرص على تحسين العمل وإتقانه.

إن من حكم الله تعالى لإيجاد الإنسان في هذه الحياة، أن يختبره ويبتليه، وهو ما يحتاج معه إلى نفس قوية وجلد ملحوظ، حتى يستطيع أن يقوم بمهمته على أكمل وجه ويجتاز ما وضع فيه ووجد من أجله، يقول الله تعالى:﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾[الملك: ١، ٢]. ومكابدة الصعاب تحتاج إلى عزيمة وإصرار ودقة وحكمة، حتى يمكن الخروج من هذه المتاعب.

٨- تقوية العزيمة بتربية النفس على الثبات عند الشدة.

إن الوصول إلى العزيمة القوية والشخصية السوية يتطلب التدرب على الصبر والتذرع بقوة الاحتمال، ولا يكون ذلك إلا إذا وقع على الإنسان ما يحطم الرتابة في حياته، ويضعه أمام ظروف جديدة وضغوط شديدة، قد تكون نوعاً من الفتن والمحن، وعند التعامل معها وفق منهج صحيح، يخرج الإنسان منها بما يصلح حاله ويقوي عزيمته، من الصبر والجلد وقوة الاحتمال، يقول الله تبارك وتعالى:﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[آل عمران: ١٨٦]. وإذا تدبرنا هذه الحكم من نزول الشدائد والمحن والفتن والبلايا، نجدها خيراً للمؤمن الذي يصبر ويحتسب، فسوف يؤتيه الله سبحانه وتعالى أجراً عظيماً وينعم عليه بالرحمة، والهداية، مصداقاً لقوله تبارك وتعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ * ﴾[البقرة: ١٥٥. ١٥٧].

٩. التنبيه إلى الزهد في الدنيا والشوق إلى الآخرة.

حينما يشتد البلاء بالإنسان، وتكثر منغصات الحياة، تهون الدنيا في نظره، وينتبه حينها إلى ما كان غافلاً عنه، من فناء الحياة الدنيا وعدم استقرارها على حال لأحد، فهي دائمة التقلب، سريعة التحول، غير وفيَّة لمحبيها، ولا حريصة على مريديها، من أجل ذلك؛ فإن من العقل والحكمة عدم الركون إليها والتسليم لها، بل السعي إلى النعيم الخالد والفوز العظيم، وهذا مكانه في الآخرة، وهو ما يجعل الإنسان يشتاق إلى هذه الدار، ويحرص عليها، ويعمل لها، يقول الله تعالى، منبهاً إلى هذا المعنى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى *﴾[الأعلى: ١٦، ١٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[الأنعام:٣٢].

١٠ . التطلع إلى رحمة الله في الآخرة ودخول الجنة.

إن من الحكم التي يمكن أن تستنبط من نزول الفتن بالناس التطلع إلى رحمة الله . تعالى . فكثرة ما يعانيه المسلم في دنياه لا يضيع سدى، وكؤوس الآلام التي يتجرعها المرء من حوادث الدنيا وأحداثها، تكون من أسباب تخفيف عذابه يوم القيامة، أو نجاته بالكلية من النار بعد أن يعمَّه الله بفضله وينشر عليه رحمته، عن أبي موسى الأشعري . رضي الله عنه . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . ((أُمَّتِي هَذِهِ، أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ وَالزَّلاَزِلُ وَالْقَتْلُ))(١).

ومعنى الحديث الشريف أن الله تعالى قد يبتلي المسلمين ببعض المشاق، كالفتن والزلازل والقتل، وكل ذلك يكون من أسباب رحمتها يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة، فليس على الأمة الإسلامية عذاب مثل الذي على الأمم السابقة، وإلا فإن بعض المسلمين يدخلون النار، ويعذبون على ذنوبهم وسيئاتهم، على ما هو معروف بين جماهير المسلمين متفق عليه بين علمائهم، إلا أن الإنسان بما يصيبه في الدنيا وهو مؤمن محتسب يكون أقرب لعفو الله وأرجى لرحمته.

الخَاتِمَةُ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلقه، وخاتم رسله، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد،،،،

فبهذا العرض المفصل لموضوع الفتن، ودراسته بصورة واضحة في نظري، مفهوماً، وأسباباً، وعلاجاً، يصل البحث إلى نهاية القول في هذا الموضوع والحديث عنه من خلال ما جمَّعت من معلومات، ووقفت عليه من دراسات، وانقدح في ذهني من قضايا وأفكار، وترتيب لهذه الأفكار فيما ظهر لي من تبويب ومباحث؛ لتستبين في النهاية نتائجه وخلاصته، وتظهر في هذه الخاتمة مقترحاته وتوصياته، وهي كما يلي:

أما نتائجه وخلاصته ففي النقاط الآتية:

١. التَّعريف بالفِتن، وَالوقوف على المقصود منها في البحث، وبيان الفرق بينها وبين المصطلحات ذات المعنى القريب منها، والدلالة المشابهة.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ما يرجى في القتل، رقم: ٤٢٧٨، وقال الألباني: صحيح. انظر: سنن أبي داود ٣/ ٥٠٧.

٢. الوقوف على أَسباب الفتن، ومناقشة التَدَاعِيات المتوقعة في حال وجودها، والإشارة إِلَى خُطُورة استمرارها بين الناس لفترات طويلة، والتَّحذِير مِن مُنعطَفاتها الخطيرة، وذلك كله للتخلص من آثارها السَلبيَّة، وما يتبع ذلك من تخريب، وفوضى، وفساد، وفرقة، ومؤامرات.

٣. الإشارة إلى طريق النجاة من شدائد الفتن وأزماتها، والتحذير من الاغترار بها، أو التسبب في وجودها، أو الوقوع في منزلقاتها، والبقاء في ظلماتها، وذلك مِن خلال تَصوُّرات العُلَماء، والوقوف على أفكارهم ومُقتَرَحاتهم عند تناولهم لهذا الموضوع.

٤. بيان الدور الوقائي المتميز للمِنهَاج الإسلامي الذي يمنحه للفرد والجماعة عند الملمات والشدائد؛ حفاظاً على الأمن واستبقاء للتماسك، وحرصاً على الطمأنينة، وحماية من الوقوع في أنواع الفتن المختلفة.

٥. إبراز دور الفِكر الإِسلاميّ الرَّاشد وامتلاكه لعناصر التميز في معالجة القضايا المختلفة، وتقديم الحلول الناجعة على الأخص فيما يتعلق بتماسك المُجتمعات والحفاظ عليها مِن التفكك والضياع عند وقوع الفتن، ونزول الشدائد.

٦. الإشادة بِدَور المؤسسات الحكومية المعنية بتوعية الناس وغرس القيم والمبادئ فيهم، وتوجيه أنظارهم للالتفاف حولها والتلقي عنها، وعدم فقدان الثقة فيها، أو إلقاء التهم عليها.

٧. محاولة الوصول بالإنسان إلى مقام الرضا بقضاء الله تعالى وقدره، والراحة النفسية، وذلك بالوقوف على بعض الحكم المستفادة من نزول الفتن ووقوع الابتلاءات بالناس، وتلمس لطائف الله . تعالى . ومننه من الفتن النازلة بالإنسان، مع محاولة مواجهة هذه الشدائد بعزيمة ماضية، ونفس راضية، ونفض آثار الضيق والتمزق النفسي الذي قد يصيب الإنسان عند الملمات والمتاعب.

وأما مقترحات البحث وتوصياته فيمكن تلخيصها فيما يلي:

١. إعداد مادة تعليمية مبسطة عن الفتن وكيفية مواجهتها، تدرس في مراحل التعليم المختلفة.

٢. تخصيص برامج إعلامية مختصة تتناول موضوع الفتن على أسس علمية منضبطة بالضوابط الشرعية.

٣. تدريب الأئمة والخطباء على كيفية تناول مثل هذه الموضوعات من خلال دورات تدريبية متقدمة.

٤. إقامة وحدات متخصصة لرصد القضايا التي تعتبر فتنة أو تؤدي إليها؛ لمتابعتها، ورصدها، ووضع العلاج الأمثل لها منذ بدايتها.

وَاللهُ مِن وَرَاء القَصد وهو الهَادي وعَليه تَوَكَّلتُ وبِه اعتِمَادي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم . جلَّ من أنزله.

١. آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني، دار صادر، بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة ولا سنة الطبع.
٢. أحكام الجهاد عند ابن تيمية، حسن عبد الرحمن حسين وهدان وتطبيقاته المعاصرة، رسالة جامعية بالجامعة الأردنية، ٢٠٠٦م.
٣. الأخطاء المنهجية والتاريخية في مؤلفات أركون والجابري، خالد كبير علال، دراسة نقدية تحليلية هادفة، دار المحتسب، ط أولى ٢٠٠٨م.
٤. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٥هـ.
٥. الإصابة، ابن حجر، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط الأولى، ١٤١٢هـ.
٦. الاعتصام، الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر بدون بيانات أخرى.
٧. الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ط الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.
٨. إغاثة اللهفان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
٩. الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هُبَيْرَة، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، سنة ١٤١٧هـ.
١٠. البداية والنهاية، ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، ط أولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١١. بدع التفاسير، عبد الله صديق الغماري، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون بيانات أخرى.
١٣. تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى ٢٠٠٣م.
١٤. تاريخ الأمم والملوك، الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
١٥. تاريخ الخلفاء، السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م، بدون رقم الطبعة.
١٦. تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، المكتب الإسلامي، ط الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
١٧. تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، عمَّان، ط الأولى ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م.
١٨. التعاريف، المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط الأولى، ١٤١٠هـ.
١٩. التعريفات، الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط أولى، ١٤٠٥هـ.
٢٠. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، ط الثانية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م،
٢١. تقريب التهذيب، ابن حجر، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية ١٤١٥هـ.
٢٢. تهذيب التهذيب ، ابن حجر، دار الفكر، بيروت ط الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
٢٣. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض المرعب، دار التراث العربي، ط الأولى ٢٠٠١م.
٢٤. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، دار النوادر، دمشق، ط الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
٢٥. التوقيف على مهمات التعاريف ، المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط الأولى ١٤١٠هـ.
٢٦. جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار البيان، ط الأولى، ١٩٧٢م.

٢٧. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، الأحمد نكري، تحقيق: حسن هاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٢٨. الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
٢٩. جريدة الأهرام، الاثنين ١٧ من ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ /١٧ فبراير م٢٠١٤، السنة ١٣٨، العدد ٤٦٤٥٩.
٣٠. جريدة الأهرام، الأحد ٥ من صفر ١٤٣٥هـ/ ٨ ديسمبر ٢٠١٣م السنة ١٣٨، العدد ٤٦٣٨٨.
٣١. جريدة الرياض السبت ١٢ شعبان ١٤٣٦ هـ / ٣٠ مايو ٢٠١٥م، العدد ١٧١٤١.
٣٢. جريدة الرياض، السبت ٥ شعبان ١٤٣٦ هـ /٢٣ مايو ٢٠١٥م، العدد ١٧١٣٤.
٣٣. جريدة اليوم السابع، ٢٣/٥/ ٢٠١٥م، بدون بيانات أخرى.
٣٤. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد أحمد الخطيب، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
٣٥. الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي، جمال الحسيني أبو فرحة، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط الأولى٢٠٠٤م.
٣٦. الخلافة، محمد رشيد رضا، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، بدون بيانات أخرى.
٣٧. ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.
٣٨. روائع التفسير، ابن رجب الحنبلي، دار العاصمة، السعودية، ط الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٣٩. الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحِميري ، إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط: الثانية ١٩٨٠م.
٤٠.
٤١. سنن ابن ماجه، ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، بدون بيانات أخرى.
٤٢. سنن أبي داود ، الترمذي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، تعليق، كمال يوسف الحوت، دار الفكر العربي، بدون بيانات أخرى.
٤٣. سنن الترمذي، الترمذي، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بدون بيانات أخرى.
٤٤. سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط التاسعة ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م.
٤٥. السيرة النبوية، ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٦هـ.
٤٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، العكري، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق ١٤٠٦هـ، بدون رقم الطبعة.
٤٧. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١١هـ.
٤٨. شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط الثانية، ١٤٢٣هـ.
٤٩. صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٥٠. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون بيانات أخرى.

٥١. العاقبة في ذكر الموت، الأشبيلي، دار الأقصى، الكويت، ط أولى، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.
٥٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون بيانات أخرى.
٥٣. العواصم من القواصم ، ابن العربي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤١٩هـ.
٥٤. عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٤١هـ.
٥٥. غياث الأمم والتياث الظلم، أبو المعالي الجويني، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية ١٩٧٩م.
٥٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، دار المعرفة ، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٥٧. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي، دار إحياء التراث العربي، ط: الثانية، بدون ذكر سنة الطبع.
٥٨. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون ذكر رقم الطبعة ولا سنة الطبع.
٥٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
٦٠. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٦١. الكشاف، الزمخشري، دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٠٧هـ، بدون ذكر رقم الطبعة.
٦٢. لسان العرب ابن منظور، بدون بيانات أخرى.
٦٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م، بدون رقم الطبعة.
٦٤. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
٦٥. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا على القاري، دار الفكر، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
٦٦. مسند أبي يعلى، أبو يعلى، دار المأمون للتراث، دمشق، ط الأولى، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.
٦٧. المسند، الإمام أحمد، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م، بدون ذكر رقم الطبعة.
٦٨. مشارق الأنوار على صحيح الآثار، القاضي عياض، المكتبة العتيقة ودار التراث، بدون بيانات أخرى.
٦٩. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، ١٤٠٣هـ.
٧٠. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت ط الثانية ١٩٩٥ م.
٧١. المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي. مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.
٧٢. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط الأولى ٢٠٠٨م.
٧٣. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
٧٤. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودى، دار العلم بيروت، ١٤١٢هـ، بدون رقم الطبعة.
٧٥. الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٧٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٢هـ.

٧٧. منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد، مؤسسة قرطبة، ط الأولى، بدون ذكر سنة الطبع.
٧٨. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مراجعة، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية.
٧٩. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، دار السلاسل، الكويت ط الثانية١٤٢٧هـ.
٨٠. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، دار ابن حزم، بيروت، ط: الأولى١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٨١. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
٨٢. http://www.maajim.com/dictionary
٨٣. wikipedia.org/wiki/
٨٤. www.alwatanvoice.com/
٨٥. www.forsanelhaq.com/showthread.php
٨٦. http://www.startimes.com

فهرس البحث

الموضوع	الصفحة
المُقَدِّمَةُ	١-٦
الفَصلُ الأَوَّلُ: مَفهُوم الفِتن، وطبيعتها وصفات أهلها. وأماكن خروجها	
المَبحَثُ الأَوَّلُ: مفهوم الفتنة، والفرق بينها وبين المصطلحات المشابهة	٧-١٠
المَبحَثُ الثَّانِي: طبيعة الفتن وصفات أهلها.	١١-١٩
المَبحَثُ الثَّالِثُ: جذور الفتن وتاريخها، وأماكن خروجها	٢٠-٢٥
الفَصلُ الثَّانِي: تَوصِيف الفتن بين الماضي والحاضر	
المَبحَثُ الأَوَّلُ: أسباب الفتن، وملابسات ظهورها	٢٦-٣٤
المَبحَثُ الثَّانِي: أَنواع الفتن، وألوانها	٣٥-٤٨
المَبحَثُ الثَّالثُ: آثار الفتن، ونتائجها	٤٩-٦٢
الفَصلُ الثَّالِثُ: علاج الفتن والوقاية من آثارها السلبية في ضوء الإسلام	
المَبحَثُ الأَوَّلُ: التدابير اللازمة للوقاية من الفتن قبل وقوعها	٦٣-٦٧
المَبحَثُ الثَّانِي: كيفية التعامل مع الفتن أثناء وقوعها.	٦٨-٧٣
المَبحَثُ الثالث: الوقوف على الحكم من وقوع الفتن بين الناس	٧٤-٧٧
الخَاتِمةُ:	٧٨-٧٨
مَصَادِرُ البَحثِ وَمَرَاجِعُهُ	٧٩-٨٢
فِهرَسُ البَحثِ العام	٨٣